صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد التاسع



العدد التاسع
من
السنة السابعة

حارة جاد شارع الفجالة — مصر

سبتمبر ١٩٣٨

افتتاحيـــــات

الكتب

فى العام الماضى أصدرنا كتابين كان كل منهما عدداً من أعداد المجلة . ولكننا رأينا أن القطع الذى تصدر به هذه الكتب لا يروق القراء كما رأينا أنهم يفضلون صدور المجلة فى نظامها المألوف كل شهر . وعندنا الآن بضعة كتب هى قيد النظر لاختيار أحسنها للطبع . وقد رأينا أن نغير نظام طبع هذه الكتب وان نطبع أكثر من اثنين . وسيرى القراء فى العدد القادم تفصيل هذا المشروع الذى رنا لن يكلفهم شيئاً أو يكلفهم القليل جداً مما تتجاوز فائدته ثمنه

الدجل

تطارد الحكومة الدجالين الذين يدعون العلم بالمعالجة . وهى محقة فى هذه المطاردة لأن الدجال كثيراً ما يؤذى المريض وقد يودى بحياته . ولكنها الى الآن لم تنشط لمكافحة هذا اللون الحديث من الدجل نعنى بيع الأدوية الجاهزة التى يعلن عنها كأنها الترياق من كل داء أو من جملة أدواء وهى فى حقيقتها مواد مجموعة ومحلاة ومعطرة لا تنفع ولا تضر . بل هى تضر لأنها تكسب المريض ثقة

كاذبة يرتكن اليها فيهمل المعالجة الاصولية عند الطبيب المختص

والمريض فى حال نفسية تدعوه الى التعلق بالهباء اذ هو كالغريق الذى يعتقد النجاة فى التعلق بأى شيء طاف . فيجب الا تستغل حاله هذه لمصلحة التجار الذين عدموا الشرف والمروءة . وفى أوربا شركات، تعد أموالها المؤثلة فى هذه الادوية بمئات الالوف من الجنيهات وهى تستأجر الجرائد والمجلات للاعلان عنها بالاجور الباهظة حتى لا يرتفع صوت بانتقادها . وهى تكتب ما تشاء من الاكاذيب عن فوائد هذه الادوية التى لا تكلفها بضعة مليات فتبيعها بالغلاء . وقد قرأنا اعلانا عن أحد هذه الادوية تدعى الشركة التى تبيعه أنه يشفى المرضى من نحو عشرين مرضا مختلفا . وبدهى أن الجريدة التى تربح عشرات الجنيهات من الاعلان عنه لا ترضى بنشر انتقاد يبين للقراء زيف هذا الاعلان . فلم يبق أمامنا سوى الاطباء نرجوهم لان يديروا مرضاهم على الدوام وان يبينوا لهم ضرر الاعتماد على هذه الادوية

السياحة

لن يزيد ربح مصر هذا العام من محصولها الرئيس وهو القطن على ٢٠ أو ٢٥ مليون جنيه . وهذا المبلغ كان يمكننا أن نربح مثله بل ضعفه من السياحة لو أنا عنينا بها العناية التى تستحقها . فان المغريات السياحية فى مصر تتفوق بكثير نظائرها فى سويسرا أو ألمانيا . ذلك أن مصر ملتقى الشرق والغرب وهى حافلة بأثار يسمع عنها المتمدنون منذ طفولتهم ويشتاقون لرؤيتها . ثم هى فى فصل الشتاء تكاد تكون المثل الاعلى فى اعتدال الجو بحيث كان يجب أن تكون مهربا من الشتاء الاوربى وملجأ للاغنياء والمتوسطين . ولا يقل ما تربحه فرنسا فى العام من السياحين عن مائة مليون جنيه بل هناك من يقول أنها تربح ضعف هذا المبلغ . والصناعة الرئيسة فى سويسرا هى السياحة وقد أصبح السويسرى أغنى رجل فى العالم بسببها حتى أن ثروته تزيد فى المتوسط على ثروة الامريكى فى الولايات المتحدة المشهورة بثرائها

وكل ما تحتاج اليه السياحة فى مصر فنادق حسنة يعرف القائمون عليها أن النظافة أساس النجاح فيها وان اعتدال الاجور أعظم المغريات لزائريها من الاجانب . فان الفنادق الكبيرة

القائمة لا تجذب سوى الأغنياء وهؤلاء قليل عددهم . ونحن فى حاجة الى جذب جمهور المتوسطين من الاوربيين والامريكيين . وسويسرا تجعل القيام على الفنادق حرفة تحتاج الى التعليم والمراتقوهى تعطى شهادة عليا فيها لخريجيها تستوى والشهادات الجامعية . وما أولانا نحن بمثل هذا العمل

ان بلادنا تزدحم بالسكان والزيادة فى الارض لا تبلغ عشر الزيادة فى السكان فيجب أن نفكر فى تدبير الوسائل الجديدة للعيش ويجب أن نجعل السياحة فى مقدمة هذه الوسائل

قلة الاستهلاك

ربما لا يخطر لبعض القراء أن أعظم ما يعرقل سير الصناعة فى مصر هو قلة الاستهلاك بل احيانا انعدامه . فان ٩٥ فى المائة من الأمة فى حال من الفاقة بحيث يعجزون عن شراء الكثير من المصنوعات ونحو ٧٠ فى المائة من الأمة يكادون يعجزون عجزا تاما او كالتام عن شراء جميع المصنوعات . فان الفلاح يعجز عن شراء كرسى أو مخدة أو مرتبة أو سرير أو فوطة أو مرآة أو أبريق أو كوب أو مصباح أو جوارب أو طربوش أو حذاء

وهذا العجز فى جمهور الامة يؤخر الصناعات . فان المصرى الذى يجد المال والاقدام لو أسس مصنعا للاسرة أو للكراسى أو للأكواب لوجد نحو ٨٠ أو ٩٠ فى المائة من أفراد الامة يعجزون عن شراء هذه الاشياء . وهو لهذا السبب فاشل منذ البداية فى صناعته لانه لن يجد الرواج الذى يجده نظيره من الصناعيين فى أوربا لان هؤلاء يؤسسون المصانع وهم واثقون بجمهور كبير مستعد للشراء وقادر عليه . ذلك أن الفلاح فى أوربا ينام على سرير ويعرف المرايا والكراسى والفوط والشاكير والاحذية والجوارب والقبعات ونحوها . فوجوده يؤيد الصناعات ويغذيها ويرقيها

ونحن نقول أو نزعم بأننا على أبواب نهضة صناعية فيجب الا يسقط من حسابنا هذه الفاقة التى لا مثيل لها فى العالم والتى يتمرغ فيها جمهورنا . ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن جمهورنا فقير يعجز عن شراء المصنوعات . وقد افقرناه نحن بجشعنا ورغبتنا فى أن نعيش فى الترف فى حين يعيش هو فى الحرمان . ولذلك يجب ألا نلوم إلا أنفسنا على الخيبة المنتظرة للنهضة الصناعية فى مصر أو على بطء تقدمها على الاقل . ولو أنه كان فى قلوبنا شىء من البر والرحمة بالعامل والفلاح ولو أننا

تركنا له ما يعيش منه كما يعيش المتمدينون أو أشباههم لكان لنا الرجاء الكبير والثقة العظمى بنجاح الحركة الصناعية . ونرجو أن تنبه هذه الكلمات الصناعيين عندنا الى ضرورة انصاف الفلاحين والعمال حتى تزداد قوتهم على الشراء وحتى يكونوا عونا للصناعات

اكفهرار

كان الجو السياسي بين الدول الاوربية الكبرى مكفهراً طول الشهر الماضي . فان المانيا قامت بمناورات تعتقد كل من فرنسا وبريطانيا وتشكوسلوفاكيا انها تعبئة لحرب توشك ان تنفجر . والسبب لهذه الحرب ان للألمان طلبات بشأن اخوانهم فى القومية واللغة فى تشكوسلوفاكيا لاتحققها لهم حكومة هذا القطر . وهؤلاء الالمان يقاربون اربعة ملايين وهم لم يتحدوا قط مع المانيا ولكنهم فى عواطفهم ولغتهم وضمائرهم المان

ويجب ان تعنينا الحرب الكبرى اذا شاءت الاقدار ان تقع . لأن مثل هذه الحرب ستكون صراعا بين الديكتاتورية التى اخترعتها الفاشية المتمثلة فى ايطاليا وبين الامم الديمقراطية . ولان مصر بموقعها الحربى العظيم ستكون مجالا للتجاذب . ومن سوء الحظ اننا غير مستعدين للدفاع عن انفسنا ازاء حرب الغازات التى تتهيأ لها الحكومة الايطالية وليست بيوتنا مبنية بحيث يمكن التحرز من هذه الغازات وليس عندنا قناعات واقية . فاذا وقعت الحرب فان السكان المدنيين سوف يموتون كالفئران فى جحورهم بفعل الغازات السامة



الحركة الوطنية في المغرب الاقصى

مما يبعث على الامل برقى الامم العربية هذه الحركة الوطنية التي تزداد قوة فى تونس والجزائر والمغرب الاقصى . فان هذه الاقطار الثلاثة كانت فى المؤخرة وكانت مضرب المثل فى الخمول والرجعية وتسلط الفرنسيين عليها . ولكنها الآن فى تنبه عام يبشر بالاستقلال لهن جميعا وهو استقلال قد يبعد ميعاد تحقيقه فى مثل الجزائر ولكنه لن يكون بعيدا فى تونس او المغرب الاقصى



السيد محمد علال الفاسي

وهذا المغرب الاقصى يعانى هذه السنين شقاء لايضارعه اى شقاء فى قطر آخر . ففى الشمال حيث المنطقة الاسبانية-الريف-يجند فرانكو المغاربة ويبعث بهم الى حيث يقتلون فى جبال اسبانيا ووديانها . وفى الجنوب يستبد الفرنسيون بالمغاربة ويتهمون الحركة الوطنية الشريفة بانها من تحريض الايطاليين والاسبان والالمان

ويتزعم الحركة الوطنية شاب يدعى السيد محمد علال الفاسي وهو رجل متمدن مزود بالثقافة الاوربية الحديثة قد درس الحركات الاجتماعية والسياسية ووقف على المناورات والالاعيب الحزبية فى باريس وهو يعرف كيف يستغلها لمصلحة وطنه . وفى الوقت الذى استطاع فيه الفرنسيون ان يجعلوا « العلماء » اى علماء الدين فى فاس يصدرون فتوى بان تأليف الاحزاب السياسية يخالف الاسلام استطاع السيد محمد علال الفاسي ان يؤلف « الحزب الوطني » ويزوده ببرنامج حافل بالاصلاحات السياسية والاجتماعية . وهو يدعو الى تعليم حديث والى نشر

الصناعات الحديثة . وترقية الزراعة وتمكين المالك المغربي من البقاء في ارضه لاينزعها منه المربون من اليهود والاجانب

والفرنسيون يتبعون في الاستعمار طرقا تعد بالمقابلة الى ما يتبعه الانجليز غاية في القسوة والشراسة . فقد ساءتهم الحركة الوطنية في مكناس فحولوا المياه عنها الى أرض المستعمرين . فلما تظاهر سكان المدينة محتجين قابلهم الفرنسيون بالرصاص فسقط نحو أربعين قتيلا من المغاربة .

وفي مدينة مراكش حيث الجوع يفتك بالاهلين والامراض الوبائية تصرعهم تظاهر الجياع بمناسبة زيارة وزير الاشغال الفرنسية فاعتبرت الادارة هذه المظاهرة تحديا لسلطتها فامرت البوليس باطلاق الرصاص على المتظاهرين وقبضت على الشبان المفكرين وكثيرين من علماء البلاد ووجهائها

وعرف الحزب الوطني أن هذه السياسة انما هي استفزاز للوطنيين المغاربة لتتمكن السلطة من هدم كيانهم ولكنهم لم يرضوا لانفسهم أن يقفوا مكتوفي الايدي فدعا الحزب الى عقد مؤتمر عام في مدينة الرباط واجتمع المؤتمر برياسة الاستاذ محمد علال الفاسي (المنفي الآن بجزيرة ليبر فيل) وأصدر القرارات الآتية :

أولا — يستنكر المؤتمرون باسم الشعب المغربي جميع أنواع الاضطهاد التي عانتها مكناس ومراكش وبني يازغة والبوادي المغربية ويحتجون على تلك الاعمال التي تمثل روح العصور المظلمة ويطالبون باطلاق سراح المعتقلين والتعويض على المنكوبين ومن دمرت ممتلكاتهم

ثانيا — يحتج المؤتمرون بصفة خاصة على مقاومة الصحافة المغربية ويقررون محاربة كل التدابير المراد منها تعطيل الصحف وحجزها ووضع مراقبة عليها ويطالبون للصحافة المغربية بالحقوق التي تتمتع بها الصحافة الاجنبية في المغرب

ثالثا — يستنكر المؤتمرون اصرار الحكومة على رفض السماح للمغاربة بتأسيس الجمعيات

رابعا — يلاحظ المؤتمرون تبعة هذه السياسة على روح الرجعية التي تسيطر على دوائر الحماية التي سبقت ان اثارت سخط المغرب والعالم الاسلامي في القضية البربرية

خامسا — يلتزم المؤتمرون مقاومة هذه السياسة بكل الطرق الجدية المشروعة ويكلون اختيار الوسائل والظروف للمسئولين في الحزب الوطني

سادسا — يستنكر المؤتمرون التهم الباطلة التى تلفقها الدوائر الرجعية والصحافة الاستعمارية ويعلنون أن الحركة الوطنية لا صلة لها باى عامل خارجى ولا تعتبر أبدا مسئولة الا عما يصدر من طريق المسئولين من رجال الحزب الوطنى

سابعا — يقرر المؤتمرون أن كل تفاهم مع الحكومة لا يكون الا بعد العدول عن خنق الحريات والاضطهادات وبعد الشروع فى تنفيذ مطالب المغرب المستعجلة ويعتبرون أن فى رعاية السلطان لشعبه وفى عطف الاحرار من رجال الديموقراطية الفرنسية ما يسهل الوصول الى ذلك

ثامناً — يعاهد المؤتمرون الله على تنفيذ محتويات هذا الميثاق ويعلنون استعدادهم لتقديم التضحية اللازمة لذلك

وفى اليوم الذى أعلن فيه هـذا الميثاق الوطنى نفى رؤساء الحزب فقامت المظاهرات ، وثارت القبائل البدوية فاستعملت الادارة منتهى القسوة فى خنق الحركة وأسرفت فى اعتقال الاحرار وابعادهم ولا تزال حالة البلاد فى قلق مستمر وهيجان واضطراب

* * *

وأعظم ما يعانيه المغرب الاقصى هو الفاقة . فان كثيراً من السكان باعوا أرضهم للضيق المستحكم الى المستعمرين من الفرنسيين واليهود والايطاليين . وهذا الضيق قد جلبه عليهم المستعمرون بالوان من الحيلة والمكر يعجز عن ادراكها المغاربة كما عجز الفلسطينيون عن ادراك الوسائل التى استعملها معهم الصهيونيون لنزع عقاراتهم الزراعية . ويبدو أن النية كانت موجهة الى مطاردة المغاربة نحو الصحارى الجنوبية الشرقية حتى يتم فى المغرب ما تم فى الجزائر اذ أصبح الجزائريون لا يملكون سوى الأرض القاحلة الجنوبية المتاخمة للصحراء . أما الارض الشمالية الخصبة فلا يمتلكها سوى المستعمرين. ولكن تنبه الحزب الوطنى المغربى والحماسة التى يلقاها من الجمهور كلاهما يبعث على الامل بان المغاربة سيحتفظون بارضهم وسيحققون استقلالهم

سابا حبشى بك

صاحب المعالى سابا حبشى بك من الشبان الذين تفخر بهم مصر ومن المثل العليا للشباب فى كل ما يجب أن يكون عليه الرجل الكامل العامل . وحسبه فخراً أنه استطاع فى زمن قصير بفضل جده واجتهاده وبفضل قوة أخلاقه ومضاء عزيمته أن يشق لنفسه الوثابة طريق المجد وأن يحقق معنى الحكمة القائلة « من جد وجد »

ولد سابا بك فى مدينة الزقازيق حيث كان والده الاستاذ حبشى ابراهيم بك محاميا بها ودخل مدرسة الزقازيق الابتدائية ونال منها شهادة الدراسة الابتدائية سنة ١٩١٠ ثم التحق بالمدرسة التوفيقية حيث أتم دراسته الثانوية ونال شهادة البكالوريا سنة ١٩١٤ ثم التحق بمدرسة الحقوق حيث أتم دراسته العالية وكان فى مقدمة الناجحين فى شهادة الحقوق سنة ١٩١٨ . وقد كان فى كل مرحلة من مراحل الدراسة موضع الاعجاب والتقدير لما اشتهر به من النجابة والذكاء . وعلى أثر اتمامه دراسة الحقوق اشتغل بالمحاماة زمناً يسيراً ثم عين فى النيابة العمومية وندب للعمل بنيابة طنطا وسرعان ما ظهرت مواهبه وتجلت كفايته ونجاحه فى مرافعاته البارعة أمام محكمة الجنايات . وكان من أثر ما حاز من ثناء رؤسائه وثناء مستشارى محكمة الجنايات ان نقل الى نيابة مصر ثم اختاره النائب العمومى للعمل بجانبه فى نيابة الاستئناف . وقد ندب فى الوقت نفسه لالقاء محاضرات فى القانون بمدرسة الحقوق فكان يفيض على الطلبة من علمه ومن رقة شمائله ما جعله موضع حبهم واكبارهم وما يزال تلامذته جميعاً يحفظون له فى نفوسهم أجمل الذكرى . وفى سنة ١٩٢٤ عين سابا بك قاضيا بمحكمة مصر الأهلية ولم يمض على تعيينه فى القضاء زمن وجيز حتى كان من أعلامه المبرزين . وفى سنة ١٩٢٩

رؤى الانتفاع بمواهبه فى مصلحة التجارة والصناعة وقد كانت وقتئذ مصلحة ناشئة وفى حاجة إلى بعض ذوى الكفايات للنهوض بها فى سبيل الاصلاح فعين صابا بك مديرا لقسم المباحث الاقتصادية بتلك المصلحة . وبالرغم من أن أعمال وظيفته الجديدة كانت تختلف اختلافاً بيناً عن طبيعة عمله الأولى، الا أنه أخذ يوالى الدرس والبحث حتى ألم الماما واسعا لا بعمله الجديد فحسب بل بكل نواحى العمل فى مصلحة التجارة والصناعة وبكل ما يتصل بها من المشروعات الاقتصادية العامة فى البلاد.

وفى سنة ١٩٣١ عندما قررت الاحزاب المؤتلفة مقاطعة الانتخابات فى عهد وزارة اسماعيل صدقى باشا نسب الى صابا بك أنه يحرض موظفى وزارته على مقاطعة تلك الانتخابات . فأصدر مجلس الوزراء قرارا بفصله من وظيفته فلم ينزعج لهذا القرار بل قابله بغبطة وارتياح لانه أدرك أن فى ميدان العمل الحر مجالا أوسع لاستعداده ومواهبه . وتقدم للعمل فى المحاماة برغبة صادقة وحماسة تامة ولم يكد يباشر عمله فى مكتبه حتى أقبل الناس عليه من جميع الجهات يوكلونه فى قضاياهم ثقة منهم بكفاءته ونبوغه واطمئناننا إلى أمانته واخلاصه . ولم تمض أشهر قلائل حتى أصبح مكتبه من أشهر مكاتب المحامين فى مصر وقد استمر يباشر عمله كمحام ناجح بل مبرز الى أن اختير وزيرا للتجارة والصناعة

صاحب المعالى صابا حبشى بك
وزير التجارة والصناعة

ويعتبر سابا بك مثلا صادقاً للرجل المثقف فهو واسع الاطلاع فى القانون والسياسة والاقتصاديات والآداب والعلوم . وبجانب قدرته التامة فى اللغة العربية يتقن اللغتين الانجليزية والفرنسية كواحد من ابنائهما . وبمقدار حب للرياضة العقلية له ولع شديد بالرياضة البدنية ولا سيما التنس والسباحة والتجديف

ويمتاز سابا بك فوق ذلك بأنه أنموذج كامل للأخلاق السامية والسجايا الكريمة فهو الابن البار بوالديه والزوج الوفى لزوجته والصديق المخلص لأخوانه . وأخيرا هو الرجل الذى يفيض قلبه بحب الخير للناس أجمعين . ولا عجب فقد نبت فى أسرة عريقة كريمة وقد أنجب به والدان عرفا بالفضيلة والتقوى وعمه كامل ابراهيم بك من الوزراء السابقين المعروفين وابنا خالته واصف غالى باشا والمغفور له نجيب غالى باشا من الوزراء السابقين المعدودين ومن كبار رجال مصر العاملين ووالدهما هو المغفور له بطرس غالى باشا رئيس الوزارة المصرية الأسبق . ولكل من هؤلاء جميعاً صفحة ناصعة وتاريخ حافل بجلائل الأعمال

وبعد فأن سابا بك جدير بكل ما وصل اليه لأن بين جنبيه قلباً كبيراً يفهم الحياة فهما صحيحاً ويدرك الواجب ادراكا تاماً ويؤديه أداء صادقا ولا يجد الزهو سبيلا الى نفسه مهما كتب له من أسباب النجاح



حديث العشماوى بك

خطط التعليم في مصر

تحدث الاستاذ محمد العشماوى بك وكيل وزارة المعارف عن التعليم فى مصر . قال :

« ان فى مصر رغم جهود وزارة المعارف الكبيرة ثلاثة ملايين فتى وفتاة فى سن الدراسة الاولية ، وقد عجزت الحكومة عن قبولهم جميعا فى مدارسها ولذلك اكثرهم اميون ، وقد رأت الوزارة ان مكافحة الامية بين هؤلاء دفعة واحدة مستحيلة لضيق الميزانية ، وعدم توافر الاسباب ، فعمدت الى مشروع العشر السنوات وخلاصته ان تقضى الوزارة على الامية بين هؤلاء فى مدة عشر سنين وارصدت لهذا الغرض مائة الف جنيه علاوة على الاعتمادات العادية التى تبلغ المليون ونصف المليون من الجنيهات . وانى واثق ان الامية ستزول تماما من القطر المصرى بعد عشرة اعوام

* * *

وقد شعرنا بانتشار الامية بين الكبار فاخذنا ندرس الوسائل لمكافحتها فرأينا ان المشروع التركى هو خير المشاريع فاخذنا به وقررنا تنفيذه . وخلاصته ان الحكومة ترغم كل متعلم فى بلادها على تعليم القراءة والكتابة للاميين فى المنطقة التى يعيش فيها . فرب العائلة ملزم بتعليم جميع افرادها ورئيس المصنع ملزم بتعليم الصناع والعمال ، والقائد ملزم بتعليم الجند وهلم جرا

وقد رأينا ان نبتدىء بتنفيذ هذا المشروع الخطير بصورة تدريجية فى الهيئات المنظمة عندنا فى مصر فاتفقنا مثلا مع شركات بنك مصر على مساعدتها فى مكافحة الامية بين عمالها ، وعدد الاميين بينهم يكاد يبلغ ٣٠ الفا فاعددنا لهؤلاء الوسائل اللازمة لتعليمهم مستعينين بالمتعلمين من العمال والموظفين فى شركات بنك مصر ، والتجربة سائرة سيرا حسنا يبشر بنجاح اكيد .

ثم عممنا هذه الطريقة فى الجيش فاعددنا مشروعا يعهد فيه الى الضباط تعليم الجنود فلا ينتهى الجندى مدة الخدمة العسكرية الا وقد أصبح يتقن القراءة والكتابة

واتفقنا ايضا مع ادارة البوليس العامة على تنفيذ هذا المشروع بين افراد البوليس والوزارة جادة فى تطبيق طريقتها الجديدة تدريجيا فى جميع الهيئات المنظمة .

• • •

كان التعليم الاولى فى مصر يقوم على تعليم القراءة والكتابة ولكننا رأينا بالاختبار ان اتقان القراءة والكتابة لا ينقل الطفل من طور الامية . فهناك غاية سامية لم تتحقق بعد وهى رفع مستوى الطالب الثقافى .

وتحقيقا لهذه الغاية رأينا ان نلتجىء الى السينما والاذاعة فى نشر الثقافة بين الفتيان والفتيات فى القرى فاعددنا مشروعا واسعا لعرض الافلام الصحية والعلمية والادبية والصناعية والزراعية فى مدارس الارياف وقررنا انشاء محطة خاصة للاذاعة يلقى فيها محاضرات وارشادات فى الزراعة والصناعة والصحة يستفيد منها ابناء القرى

والمهم فى هذا المشروع ان جميع الوزارات قد تضافرت على تحقيقه فوزارة الزراعة تتولى الناحية الزراعية منه ووزارة الصحة تعنى بالناحية الصحية الخ . . .

ورأينا ايضا ان التعليم الاولى لا يأتى بالفائدة العملية فادخلنا تعديلات عظيمة على

الاستاذ محمد العشماوى باشا وكيل وزارة المعارف

مناهج المدارس الاولية فاصبح الطالب فيها يتعلم العلوم النظرية قبل الظهر ثم يدرس الزراعة او الصناعة او التجارة بعد الظهر وذلك بحسب المنطقة التى يعيش فيها فاذا كانت زراعية كانت دروسه

بعد الظهر فى الزراعة وهلم جرا

وانى واثق من ان المدارس الاولية بعد هذا التعديل ستعد للوطن عمالا وصناعا يجمعون الى القراءة والكتابة والعلوم تفقها فى الصنعة التى يحضرون لها .

* * *

وكانت وزارة المعارف المصرية تعد معلميها ومعلماتها للمدارس الاولية ، فى مدارس المعلمين الاوليه وهذه كثيرة فى مصر . ولكن التجربة اظهرت ان المعلم الاولى ناقص الثقافة وخاصة فيما يتعلق بالناحية الفنية والريفية فقررت وزارة المعارف اعادة النظر فى مناهج مدارس المعلمين الاولية وكان من اثر ذلك ان اصبحت مدة الدراسة فى هذه المعاهد ست سنوات واضافت الى المواد القديمة معلومات وافية فى تربية الطفل والزراعة والصناعة والاعمال اليدوية

* * *

وقد اشتركت وزارتنا فى مؤتمر التعليم الفنى الدولى الذى عقد فى روما سنة ١٩٣٦ وقد كانت أكثر دول العالم ممثلة فيه ، وتوصل المؤتمر الى وضع قرارات خطيرة بينها القرار الآتى وهو أنه لا يجوز مطلقا استخدام مدرسين لم يحضروا تحضيراً مسلكيا مهنيا ولو كانت مهمة هؤلاء تدريس الصناعة أو الزراعة . ومعنى ذلك أن المعلمين الحاليين الذين يقومون على تعليم فروع الصناعة والزراعة وأكثرهم لم يدخلوا مدارس المعلمين ولم يعدوا ليكونوا معلمين — يجب على هؤلاء وفقا لقرار مؤتمر روما الفنى ان يعدوا اعدادا مهنيا مسلكيا

وعليه فقد قررت وزارة المعارف فى مصر إنشاء دراسات صيفية يلتحق بها المعلمون الحاليون الاختصاصيون فى الهندسة والزراعة والصناعة ويتعلمون مبادىء التربية والتعليم نظريا وعمليا ومدة هذه الدراسات فترتان صيفيتان أو ستة أشهر ينال فى نهايتها المعلم الفنى شهادة بأنه أصبح محضراً تحضيراً مسلكيا لمهنة التعليم .

وكذلك أعدت وزارة المعارف دراسات صيفية فى الاسكندرية لرفع مستوى المعلمات الثقافى .

* * *

ثم تحدث الاستاذ العشماوى بك بعد ذلك عن نظام معهدى التربية الثانوى والعالى وافتتاح

مكان للفتاة المصرية فيها ، وعن اتجاه النية إلى تعديل هذا النظام بآخر جديد يجعل مدة الدراسة فى معهد التربية سنة واحدة على أن لا يقبل فيه الا الحاصلون على الليسانس من احدى كليات الجامعة

وهو يقول فى هذا الصدد أن الوزارة لن تكتفى بتدريس طلبة معهد التربية سنة واحدة وانما ستراقب دراستهم وهم فى الجامعة فتوجههم توجيها ثقافيا يفى بتحضيرهم للمواد التدريسية التى سيتخصصون فيها وستختارهم من طلبة الجامعة قبل أن ينالوا الليسانس بسنتين بمسابقة خاصة ثم تمنح الناجحين منهم مساعدات مالية وتراقبهم الى أن يتخرجوا ومعنى ذلك أن هؤلاء الطلبة سيكونون رغم وجودهم فى الجامعة خاضعين مباشرة لارشادات معهد التربية ووزارة المعارف واشرافها

وتناول بعد هذا المعاهد التى يتخصص فيها الاساتذة فى اللغة العربية والدين فقال ان ثلاثة معاهد تنازع هذا الشرف هى الازهر ، ودار العلوم ، والجامعة واشار الى ان دار العلوم أصبحت بين شقى الرحى فطوراً تهاجمها كلية اللغة العربية فى الازهر وتارة أخرى تهاجمها كلية الاداب فى الجامعة المصرية ، والحكومة مترددة بين الغاء هذه الدار وابقائها ، ولما كانت قد أدت خدمات عظيمة لمصر فقد رأت الوزارة الاحتفاظ بها ، وجعل مدة الدراسة فيها سبع سنوات عوضا عن خمس وأخذ طلبتها من السنة الثالثة من معاهد الازهر الثانوية وبذلك يجمع خريج دار العلوم الى اطلاعه الواسع فى الدين واللغة العربية ثقافة حديثة عصرية جامعة ودراسة وافية لاحدى اللغات الاجنبية وأدابها

بعد الخمسين

يقول احد الاطباء الامريكيين ان الطعام بعد الخمسين يجب ان ينقص بمقدار الربع او الثلث ، ويحسن ان تكون الوجبات عديدة وصغيرة . بل هو ينصح ان تكون ست وجبات بدلا من الثلاث المألوفة . ويقول هذا الطبيب ان اهم شرط للتعمير — بعد توقى الامراض — ان يكون وزن الانسان بعد الخمسين سويا او اقل من السوى . اما اذا زاد الوزن فان خطر الوفاة يزداد بمقدار الزيادة

فولتـــــــير

داعية الحرية وعدو الظلم

للاستاذ ميشيل عبد الاحد

« اذا حكمنا على الناس بأعمالهم ففولتير بلا جدال أعظم كتاب أوربا الحديثة . لقد أعطى من نصيب الخلود ثلاثة وثمانين عاما (١٦٩٤ — ١٧٧٨) لكي يكسر بتؤدة العصر المنحل الذى عاش فيه : كان له الزمن ليحارب مع الزمن . وعندما قضى كان هو القاضي عليه »

هذا ما قاله لا مارتين عن فولتير : رجل قبيح الصورة بذىء اللسان حاد اللهجة ، فاجر مغرور ألمعي زنيم . ولا غرو فى ذلك فقد كان فولتير ابن عصره . اكتملت فيه كل نقائص ذلك العصر — عصر اللويسين — الرابع عشر والخامس عشر — دون أن يفوته شيء . ومع ذلك ففولتير هـذا عينه كان أشفق الناس وأكثرهم اعتباراً للغير ، جواداً بنفسه ونفيسه ، قادراً على مساعدة الاصدقاء قدرته على سحق الاعداء ، قتالا بقلمه ولسانه ، ومع ذلك سريع التراجع نحو الحق عند ظهور بوادره — ما كان أكثره تناقضا مع نفسه

كل هذه الصفات — جيدها ورديئها — ثانوية وليست من روح فولتير فى شيء . اذ أن أساس حياته والأمر الذى يخيز فيه هذا الخصب الذهبي المعمر الذى جعله يكتب أكثر من تسعة وتسعين من المجلدات ، فى كل صفحة من صفحاتها اشعاع وأثمار وتجديد وتنويع وانتقال من موضوع الى موضوع فى شبه سلسلة موسوعية . انه قال « يضايقنى أن أقول بما أعتقد وأفكر » ، ولقد كانت أفكاره جديدة بأن يعبر عنها وكانت تعبيراته قوية لاتجارى . أن معظم شهرته ترجع الى أحاديثه ، وهذه لم يدون منها الا النزر اليسير . أن ما كتب هو الهيكل أما الروح فقد ذهبت بذهابه . ان ما خلفه لم يجاره فيه أحد من معاصريه مثل روسو وديدرو ومنتسكيو ورنان فى فرنسا ، وبوب وسويفت وأديسون وشيلي وجونسون وهيوم وجراى وجولدصميث فى انجلترا ، أليس هو القائل : « كل الناس طيبون ما عدا الكسالى » ؟ — و « اذا أردت ألا تنتحر فليكن لديك عمل ما ! »

كيف لا يعمل رجل من طينة فولتير وجد فى عصر من أروع العصور التى مرت على البشرية وأكثرها أثرا فى مستقبلها ؟ فلقد حضر الصراع الدينى بين الكاثوليك والبروتستانت فى أوربا والاحتكاك السياسى بين دول أوربا والتنافس الاستعمارى بين دولته وانجلترا فى الهند وأمريكا ، والانحلال الاجتماعى فى بلاده : لقد كان لايطاليا نهضة علمية Renaissance وكان لالمانيا اصلاح دينى Reformation ، وكان لفرنسا فولتير » يعنى ول دورانت مؤلف كتاب قصة الفلسفة الحديثة بهذه الكلمات أن فولتير كان لبلاده نهضة واصلاحاً ، وهو فوق ذلك جهز البارود الذى هدم به ميرابو وروبسبير الباستيل رمز القرون الوسطى

سار فولتير على فلسفة مونتانى فى محاولة الوصول الى الحقيقة عن طريق التجريد والشك ، واتبع طريقة رابليه فى المزاح الادبى الذى درج عليه العوام ، حارب الخرافات والمظالم الاجتماعيه بأكثر صلابة من لوثر وارزموس وملانكتون ونوكس

لم يكن لكاتب تأثير على الناس فى حياته مثلما كان لفولتير . فرغم النفى والسجن ومصادرة كل كتاب من كتبه تقريباً ، مهد طريقاً للحق بوسائل جعلت الملوك والباباوات والسلطات أخيرا تعمل حسابا لوجوده وتعنى بألا تفوتها كلة ينطق بها فولتير

وعندما ظهر روسو فى الميدان كان كلاهما الرسولين اللذين بشرا بالانقلابين الاقتصادى والسياسى فى فرنسا اللذين انتهيا الى توطيد حكم الشعب والطبقات البورجوازيه أى الوسطى ، هذه الطبقات التى عضدت فلسفة فولتير العقلية rationalism وفلسفة روسو الطبيعية naturalism مفككة عقال العادات والافكار ، ولو قبيل الثورة الفرنسية . وبعبارة أخرى أن فولتير وروسو لم يكونا من مسببين الثورة بقدر ما كانا من ضمن نتائج مسبباتها ، ومع ذلك فاننا نسمع لويس السادس عشر يتمتم فى سجنه وهو يطالع كتابات فولتير وروسو « هذان الرجلان خربا فرنسا » . ونقرأ لنابوليون كلمته المشهورة : « كان يمكن للبوربونيين ان يتجنبوا الثورة ويستمروا على عروشهم لو انهم وضعوا ضوابط لما كان يكتب » وهذا هو الواقع ، فانه ان كان اختراع المدفع قد هدم حصون القرون الوسطى فان الحبر اليوم كفيل بأن يهدم نظمنا الاجتماعية ، وفى هذا يقول فولتير : « الكتب تحكم العالم . ليس محرر مثل التعليم . . » بهذا حررت فرنسا ، وعندئذ فقط ابتدأت تفكر معه .

لم يكن فولتير وليد عصره بقدر ماكان جبلة الوراثة والبيئة الأولى ، فلقد ورث عن والدته حدة الذهن وشيئاً من الميول الارستقراطيه ، كما ورث عن أبيه نوعاً من التحفظ والاستمساك بالرأى ، ولقد كفلت تربيته وظروفه بعد ذلك أن تخرج من هذين العنصرين السبيكة الفولتيرية التى نعرفها . عندما ولد كان جسمه أضعف من أن يغالب الحيـاة يوما فاذا به يتغلب على الموت فى الجسد ليحيا فيه الروح .وقرض فولتير الشعر وهو صغير مما جعل والده العملى يتشاءم لمصير ابنه الخيالى ، أما نينون دى لانكلوسن احدى سيدات البلدة فأنها رأت علائم النبوغ فى الفتى فوهبته الفى فرنك ليشترى بها بها كتباً ، تلقى منها فولتير دروسه الأولى كما تلقاها من جيروم كونيارد القسيس المرتاب الذى علمه الارتياب مع الصلاة . أما معلموه الآخرون — جماعة الجزويت — فقد أمدوه ، عن غير عمد طبعاً بأداة الشك نفسها بأن علموه المنطق الاستنتاجى لكى يبرهن به على مايريدون فاستعمله هو فيما لايريدون . ولقد نبغ فولتير فى فن الجدل فبينما كان أقرانه يلعبون فى فناء المدرسه كان هو ـ وعمره بعد اثنى عشرة سنة ـ يتخلف عنهم فى غرفة الدراسة ليتباحث مع الاساتذة والعلماء .وعندما جاء دور فولتير ليكسب خبزه بعرق جبينه خيب آمال والده مرة أخرى بتفضيله الأدب على المحاماة .فانه مقت قانون ذلك العصر كما كان يفسر له ، ومع ذلك فقد أفادته المـدة القصيرة التى قضاها فى مدرسة الحقوق فى مواقفه الدفاعيـة المستقبلة . واختار فولتير الأدب لأنه به استطاع أن يعبر عن عواطفه الجياشه وميوله الثائرة ـ فـكان يقضى أغلب الليالى ساهراً عند الاصدقاء وفى محافل الأدب يتكلم ويـكتب ويحترق تحت ضوء الشموع . وأراد والده أن يخلصه من هـذه الحياة فأرسله الى صديق له فى كاين ليجعل منه سجين داره ولـكن سرعان ما شغف الرجل حبا بالفتى وحباه بالحرية ، فما كان من أبيه آلا ان استدعاه ثم نفاه الى الهاى فى رفقة سفير فرنسا فى هولندا وهنـاك تعلق فتانا فى حب فتاة هولندية ذكيـة مما أخاف السفير من الارتباكات الدبلوماسية التى قـد تنتج عن غرام كهذا وهكذا رأينا الفتى مرة اخرى عند أبيه وسمعنا أباه يقول أنه يملك مجنونين أحدهما فولتير طبعاً أما الآخر فهو أرمان الأخ الاكبر الذى اتخذه فولتير له مثالا والذى استشهد لاعتناقه مذهب جماعة الجانسيين المعتبر هرطقه لدى رجال الدين

كان فولتير عند وفاة لويس الرابع عشر فى باريس وكان فى الحادية والعشرين من عمره فرمح

مع الراهبين ومجن مع الماجنين ، وكان جل أهل باريس كذلك ـ وهنا بدأ نجم فولتير يتألق فى سماء الشهرة والمجد . فعندما لجأ الدوق اورليان نائب الملك (وكان الجالس على العرش لويس الخامس عشر ، فتى غراً) الى الاقتصاد فباع نصف الجياد التى كانت تملأ الاصطبلات الملكية كتب فولتير « كان الأحرى أن يستغنى عن نصف الحمير التى تملأ البلاط » . وكانت هذه العبارة سبباً فى الصاق كل الاشاعات والاتهامات (التى كانت تترك بالاشراف من مصادر خفية) بفولتير ولسوء حظه فانا اشتمل أحداها على قصيدتين يتهمان نائب الملك برغبته فى اغتصاب العرش . وفى اليوم التالى رأى فولتير الباستيل لأول مرة وكان بريئاً من التهمة ، ولذلك ترك هذا الحبس فى نفسه أسوأ الآثار ، وفى السجن تعلق السجان به وأوصاه بكتابة تاريخ هنرى الرابع ملك فرنسا الذى أخرجه فولتير فى قصيدته الرائعة المطولة المسماة هنرياد .

خرج فولتير من السجن — بعد أمر العفو — الى المسرح ، ولما مثلت مسرحيتــه الخالدة « أوديب » ضربت الرقم القياسى للعرض فان باريس شاهدتها خمسة واربعين يوما متتاليا . وتمثل لنا القصه الملك أوديب واقعاً فى غرام والدته وهو يجهلها ، ثم نتائج هــذا الغرام والشعور النفسى الذى خالج الحبيبين عندما عرفا بعضها أخيراً وهنا يصرخ أوديب « كنت آلة وعبداً فى يد قوة مجهولة .. أيتها الآلهه المدعية الرحمة أن جرائمكم جرائمى ، وأنتم تعاقبونى عليها » وتقول الزوجة الوالده وهى تنتحر « لقد عشت فاضلة ، وأموت مرتاحــة الضمير ، وفى وسط الاهوال التى أنوء تحتها قد جعلت الآلهة التى ساقتنى الى الجريمة تحمر خجلا »

كان لفشل روايته التالية « ارتمير » رد فعل سىء فى نفسه وزاد مصابه بأصابته بمرض الجدرى الذى تركه مشوها قبيحاً ، ولكن هون الخطب عنده أنه خرج من احتجابه محمولا على الأكتاف لنجاح هنريادة التى كتبها فى السجن . هنا أراد فولتير ـ كما يقال ـ أن يقلب صفحة بيضاء ، فسار فى خطة سلمية مع نائب الملك والاشراف واعتدل فى لهجته الكتابية ، ثم رأى أن يكون تاريخه جديداً فأبدل اسمه من فرنسوا أرويه الى فولتير الذى به اشتهر بعد ذلك ، ولكن شهرة رجل بلا ألقاب ولا تاريخ أشراف لم يرق اشراف فرنسا وكان نتيجة ذلك أن تحرش به الشفالييه دو روهان فى أحدى الحفلات ، وانتهى الأخـذ والرد بين الرجلين أن رشح فولتير للباستيل مرة أخرى ، ولكن توسط

له الأصدقاء . فأخلى سبيله على أن يغادر أرض فرنسا . وأحجم رجلنا مغتاظاً وتنكر فى دوفر كى يعود لينتقم ، ولكن كشف أمره وأعيد ألى لندن حيث قضى ثلاث سنوات بأتمات

لم تمض سنة على أقامته فى لندن حتى كان قد أتقن لغة الانجليز وقرأ بها خيرة أدابهم ، وسرعان ما التف الشعراء والكتاب والعظماء حوله ، ولشد ما ادهشته تلك الصراحة وهذه الحرية التى يكتب بهما بولنيبروك وبوب واديسون وسويفت ـ من قوم كونوا آراءهم بأنفسهم،أعادوا صنع دياناتهم ، شنقوا ملكهم واستدعوا غيره ، بنوا برلمانا أعظم قوة من أى من ملوك أوربا . لا باستيل هناك ولادسائس ، ثلاثون ديانة وليس من قسيس ، لغة شواذها أعم من قواعدها .وهاهو ذا جماعة الكويكرز يملأونه أعجابا ويحيرونه بنبأتهم . كانت أصوات فرنسيس بيكون وهوبس ولوك الفلاسفة مازالت مرددة الأصداء ، ثم أعقبها رنين اسحق نيوتن الذى حمل فولتير روحه العلميه ألى فرنسا وصار خير مترجم لها . حقا ليدهش الانسان كيف تأتى لفولتير أن يهضم كل ما قدمه له الانجليز من لغة وأدب وفلسفة وعلم وكيف أمكنه ان يفرنسها ويخرج من البرود الانجليزى نكتة فرنسية. ومن مشاهداته كتابه المشهور الذى أسماه «رسائل عن الانجليز»وهذه وزعها فولتير رسالة رسالة على أصدقائه فى فرنسا مفضلا ذلك على نشرها وتعرضه لنفى أو باستيل آخر ، ولكن ما خافه حدث ، أذ لم يقض فولتير اكثر من خمس سنين طيبات بين خمر ومداعبات وكتابات بعد أستدعائه ألى فرنسا حتى كانت هذه الرسائل قد تسربت بغير علمه ألى المطابع وتنوقلت بين الأيدى .وهال البرلمان تلك النزعة التى جاءت بها هذه الرسائل وهذه الوقاحة الانجليزية التى تعالج بها الأمور ، فعدها خارجة على الدين والآداب والسلطات وأحرقها علنا ولكن النيران أنما جعلت منها البوق الاول الذى آذن بدك الباستيل

أما فولتير فاختفى عن باريس واختفت معه هذه المرة المركيزة دى شاتليه ، وهناك فى قلعتها التاريخية فى سيرس أقاما كعشيقين ممتازين يحج أليهما عشاق العالم والأدب واللهو،وهناك أيضا صاغ فولتير شعاره أن « اضحك وأضحك » حتى دعته كاترين الكبرى عاهلة روسيا المعاصرة له « أله البهجة » وكان هو يقول « من الخير أن يوجد من يضحك حتى لايشنق الباقون أنفسهم » وفى سيرس أيضا أخرج فولتير أمهات كتبه « زاديك ، كانديد ، ميكروميجاس ، العالم كما يسير ، الحر » وغيرها من صغير الروايات التى تقوم فيها المبادىء مقام الاشخاص والخرافات مقام الانذال منهم

والأفكار مقام الحوادث

أولئك الذين لم يستطيعوا أن يأتوا أليه كتبوا أليه ، مثل فردريك الاكبر عاهل بروسيا وكان بعد أميراً ، كانت رسائله ألى فولتير تعكس عقلية جبارة وتسمو عاطفة وتخوض فى أشياء كثيرة بين ذم للتملق ومقت للحرب وازدراء بالطقسيات وفى ذلك يكتب فولتير « ملك يكتب ضد التملق لهو مثل بابا يكتب ضد المناعة من الخطية » أصاب فولتير فى هذه المرة أيضا . فأن هذا الأمير ما جلس على العرش حتى أغرق أوربا فى حروب دامت جيلا كاملا

كان فولتير فى العقد الخامس عند ما انطلق هو والمركيزة دى شاتليه (التى كانت تصغره باثنتى عشرة سنة) ألى باريس حيث لجأ ألى كل الوسائط من تملق الجزويت والسلطات وادعاء الكثلكة والتزام الأدب كتابة وحديثا وكل ذلك ليحوز على مقعد فى الاكادمية الفرنسية خسره فى تلك السنة ثم ربحه بتفوق فى السنة التى تلتها . وظل فى باريس يخرج مسرحية بعد أخرى من أوديب وهو فى الثامنة عشرة ألى أيرين وهو فى الثالثة والثمانين . من هذه بروتس ، ايريفيل ، زير محمد ، ميروب ، سميراميس ، تانكريد التى وأن كان بعضها قد فشل ألا أن جلها قد أوصل فولتير ألى ذروة المجد

لم ينغص حياة فيلسوفنا الضاحك اكثر من حادثة غرام مركيزته بالمركيز الشاب سان لامبرت وقابل فولتير الحادثة بنظرة الفليسوف ولما وافت المنية المركيزة فى العام التالى التف الزوج والعشيقان حول سرير مرضها وقد آلفت بين قلوبهم هذه الخسارة المشتركة التى منوا بها

تلهى فولتير عن الامه بالكتابة ، وبينما هو يخرج تاريخه عن عصر لويس الرابع عشر اذا بدعوة لزيارة ألمانيا خالصة النفقات تأتيه من فردريك الاكبر واذا بفولتير يترك العمل غير منجز ويلبي الدعوة مسروراً واذا بنا نراه فى بلاط الملك مع أدباء الألمان ومجددى فرنسا ممن استدعاهم فردريك لتثقيف الشبيبة الالمانية — حول موائد أفلاطونية يدور فيها الحديث بالفرنسية فى شتى المواضيع دون تحفظ أو كلفة لدرجة كانت تغضب الملك أحيانا — وكان فولتير يتحاشى الحفلات الرسمية مفضلا عليها هذه الخلوات الثقافية . وبدأ الملل يتسرب الى قلبي الملك والفيلسوف ولا سيما بعد دخول فولتير فى مضاربة مالية فى أسهم ألمانية أغضبت الرأى العام وبعد مشادة علنية

بينهما حول تفسير مسألة رياضية لنيوتن نشر فولتير عنها رواية هزلية كان الملك قد نهاه عنها وان كان قد ضحك لها ما شاء أن يضحك . وهرب فولتير من غضب الملك ، وبعد مضايقات كثيرة وقعت له فى طريقه الى وطنه سمع أن باريس حانقة عليه وانه فى حكم المنفى . هنا سقط فى يديه وود لو حفر له قبر توارى فيه ، ولكنه مرة أخرى عالج الموقف بفكر الفيلسوف ، فغير وجهته صوب سويسرا حيث ابتاع لنفسه منزلا قديما اسماه ليه دليس قرب جنيف ليقضى فيه شيخوخته بهدوء

كان سبب النفى ذلك الكتاب الذى طبع له فى برلين فى « رسالة فى الاخلاق ونفسية الامم من شرلمان الى لويس الثالث عشر » اذ اتبع طريقة جديدة فى كتابة التاريخ لم تعجب السلطات ولا رجال الدين فقد قال ان الفلاسفة وحدهم يجب أن يكتبوا التاريخ ، وان التاريخ يجب أن يجرد من الملوك والوقائع الحربية وألاعيب الصغار والاكاذيب التى نحوكها حول الغابرين . قد حاول فولتير فى كتابة هذا التاريخ كما فى تواريخه الاخرى عن لويس الرابع عشر وشارل الثانى عشر وبروسيا ، أن يوجد عاملا مشتركا ومحورا تدور حوله حوادث الكون فوجد ذلك فى الثقافة وتطور الفكر البشرى ، ولذا نراه يدرس الحوادث الصغيرة والمستندات الصحيحة ويلقبها بتاريخ الثقافة واضعاً بذلك الاساس الذى بنى عليه بعده جيبون وتيبور وجروت وبرستد وغيرهم من أئمة المؤرخين المجددين

ثم انتقل فولتير الى فرنى على حدود فرنسا وسويسرا كى يستطيع أن يهرب من هذه الارض الى تلك فيما لو أغضب احدى الدولتين وسرعان ما أضحت هذه البلدة الصغيرة محج العلماء والادباء ومنتدى العلماء والفلاسفة . هنا اكتمل نمو الرجل الذهنى والعاطفى ، وتهافتت عليه الرسائل من كل صوب فهذا يسأله هل هنالك اله أملا . وجستاف الثالث ملك اسوج يكتب له بأنه ماض فى اصلاح بلاده طبق دعاية فولتير . وكرستيان السابع ملك الدنمرك يعتذر له لعدم اجراء الاصلاحات حالا ، وكاترين الثانية الروسية تتابعه بالهدايا والاعتذارات . بل حتى ملك بروسيا يعقد الصلح مع ملك فرنى ويشفع الرسالة بالعبارة « كنت تصير كاملا لو لم تكن انسانا ! »

وانه ليدهش المرء كيف يضحى فولتير فى آخر أيامه من المتشائمين . وكيف يعبس للحياة عند ماتأتيه أخبار زلزلة لشبونه سنة ١٧٥٥ التى هلك فيها ٣٠,٠٠٠ نفس وذلك لانها شاءت الا أن تقع فى عيد

جميع القديسين والكنائس غاصة بالجموع . وعزا رجال الدين الزلزلة الى غضب الله لخطايا شعب لشبونة فثارت ثائرة فولتير وكتب اليهم محاجاً « أما ان الله يستطيع أن يمنع الشر ولا يريد، وأما انه يريد ولا يستطيع » ، وأمام هذه المسألة يعجب فولتير بفلسفة سبينوزا اليهودى فى الخير والشر بأنهما تعبيران بشريان لا ينطبقان على الكون ، وأن مآسينا هى توافه بالنسبة لاغراض الأبدية

لم يمض بضعة اشهر على حادثة لشبونة حتى اشتعلت حرب السبع السنوات التى عدها فولتير جنونا وانتحارا.فى هذه الآونة كانت قد تدوولت قصيدة جان جاك روسو فى زلزلة لشبونة . وعزت القصيدة المأساة لخطأ الانسان نفسه لانه يهجر الطبيعة التى منها خرج ويعدو الى حياة المدن والتصنع التى تفسد اخلاقه وتسبب شقاءه. ولاقت هذه الافكار البسيطة روايته الخالدة كنديد التى يسير القلم فيها ضاحكا ويقف العقل بين سطورها مذهولا متطلعاً .ولاغرابة فى أن يقف فولتير هذا الموقف تجاه روسو مع اتفاقهما فى الدفاع لاجل الانسان وفى جعل « السبت لاجل الانسان لا الانسان لاجل السبت » على حد قول يسوع وبمعنى الحر يستخدم كل قواه الطبيعية وكل انظمة المجتمع لخدمة الانسان ، فالرجلان فولتير وروسو مختلفان فى المميزات والمكونات والميول ففولتير ارستقراطى عقلى وروسو طبيعى يدعو الى التجرد المادى ؛ روسو يدعو الى الجمهورية وفولتير يخشى تهور العوام عندما يتقلدون السلطة ، أليس هذا ما سببه العقد الاجتماعى لروسو الذى اتخذ انجيلا للثورة الفرنسية ؟ ومع ذلك ففولتير يخشى الملكية ألا اذا كان الملك مثل ماركوس أوريليوس الفيلسوف . وفولتير لا يدعو الى الوطنية لانها فى نظره تعنى أكره بلاد غيرك وأحب بلادك وهو يطبق هـــذا فى حياته عمليا عندما يمدح ملك الالمان ويمجد أدب الانجليز وفرنسا فى حرب مع كليهما . وانه ليمقت الحرب ويهزأ بها فى كلمات لاذعة مثل « القتل محرم ألا اذا كان تحت نفير الأبواق وفى وفرة العدد » . وهو لا يرى فى الثورة العلاج الناجع فهو يقول « عندما يبدأ الشعب فى أن يفكر فقد فقد كل شىء » و « لكى تكون حراً يجب ألا تخضع لشىء سوى القانون » . كذلك ارتاب فولتير فى الطوبيات معتقداً أن المجتمع أنما ينمو نموا طبيعياً مع الزمن ولهذا عندما يقرأ طوبى روسو فى عقده الاجتماعى يصرخ متأوها : « انت ترى كيف يشبه جان روسو الفيلسوف كما يشبه الانسان القرد » ومع ذلك فاحترام فولتير لآراء الغير يجعله يثور لحرق السلطات السويسرية للعقد الاجتماعى قائلا لروسو « اننى لا أتفق

معك فى كلمة واحدة مما تقول ولـكنى سأدافع حتى الموت عن حقك فى أن تقول »

هذا جانب من النشاط الذهنى لفولتير ، ولكن للرجل مواقف مشهورة تجاه جماعة الموسوعيين أمثال ديدرو ودالمبرت ولامتيرى وهلفاتس وهو لباخ وكل منهم نتيجة أو رد فعل لحركة التجديد فى فرنسا فى تجاه خاص ؛ لأنه أن كان مرمى حركة الاصلاح الدينى فى المانيا وانجلترا هو تجريد الدين من الخرافات والتقاليد التى قتلت روحانيته فأن الحركة فى فرنسا ـ رغم حرارة الهيجونوت أو البروتستانت ـ قد غالت حتى خرجت على الدين نفسه فانكرت الله وعدت الانسان آلة والدين صنيعة بشرية منشؤه الجهل والخوف، وهكذا رأينا ديدرو يسير على هذا النمط التفكيرى فى دائرة معارفه التى صادرتها السلطات ؛ أما فولتير فأن كان قد قبل ان يكون رئيس هذه الجماعة السيكلوبيدية ألا انه احتفظ بآرائه وألف قاموسه الفلسفى الذى وعاء ما بدا له من الافكار الجديدة بلغة لم يجرؤ أحد قبله على استعمالها تكاد تكون أساس الادب المكشوف الذى سار عليه الكتاب بعد ذلك . يبدأ فولتير فى فلسفته كما يبدأ بيكون وديكارت ولوك ـ بالشك ـ لاعتقاده أن زعماء الطوائف الفلسفية مجرد دجالين ، وهو يقول: «أننا نجهل المسببات الأولى للكون ولا نستطيع أن نعرف ماهية الله والملائكة والعقل والخليقة .. أتريد أن تعرف لماذا خلق الله العالم . وأنت لا تعرف لماذا تحرك كتفك ؟» ثم يخرج من هذا الحوار وهو يشك فى قيمة الشك نفسه . بدأ الرأى العام يميل أليه والاشراف والكرادلة يسترجون ألى وجوده وكان يظن أن يختم فولتير المطاف فى قرنيه وفى هدوء ألى النهاية ولكن ... ظهرت حوادث تولوز فى الميدان، فاهتزت لها جوانب نفسه وثارت لها كوامن ماضية، وهب من راحته مقسما ألا يهدأ حتى يسحق هؤلاء الأئمة رجال الدين، وأذا تتبعنا نتائج حملته نرى أنه سحقهم فعلا ألى الأبد، على الاقل فى فرنسا

كان البرتستانت فى فرنسا قد حصلوا بمقتضى منشورات نانت على بعض الحقوق ومع ذلك فلم يكن ليقوم من بينهم طبيب أو محامى أو قاضى أو كتبي* أو بدال ، وكان على تلك المرأة التى استقدمت مولدة بروتستانتية فى تولوز أن تدفع غرامة ثلاثة آلاف فرنك . كان لجان كالاس البروتستانتى فى تولوز ابنة ارتدت ألى الكثلكة وتبعها اخوها الذى شنق نفسه لفشله فى إيجاد عمل ؛ وكان قانون تولوز يقضى بأن يشنع بجثة المنتحر للعبرة . وكره الأب أن يشهر بابنه فسعى حتى حصل على شهادة الأصدقاء بأن الوفاة كانت طبيعية؛ وسرعان ما اشيع أن الأب انما قتل ابنه لاعتناقه الكثلكة فقبض عليه وعذب

حتى مات واضطهدت عائلته حتى هربت ألى فرنى. وهناك لجأت ألى فولتير (كما لجأت زوجة دريفوس ألى أميل زولا) طالبة النجدة فأضافهم كعادته وعزم.. وحدث فى تلك الأثناء أن توفيت فتاة بروتستانية أخرى فى تولوز وأشيع بأنها ألقيت فى البئر لاعتزامها على التكثلك. وكانت هذه دسيسة بالبروتستانت، وفى نفس الوقت تقريبا اتهم بروتستانتى آخر بتشويشه لتماثيل المسيح فعذب حتى اعترف كذبا بأنه مذنب فقطع رأسه وألقيت جثته للنيران بين تهليل الجموع ، ووجدت مع الفتى نسخة من قاموس فولتير الفلسفى فأحرقت معه

لأول مرة يصبح فولتير رجل جد يلقى الفلسفة جانبا ويتجنب الابتسام ويثير حملة شعواء يدعو فيها ديدرو ودالنبرت وغيرهما ألى النضال معه ويقوم وحده بدعاية واسعة النطاق من ألقاء خطب وتوزيع نبذ ومنشورات سرية وأنشاء القصائد مذيلة باسمه وبأسماء مستعارة وبالشعار الثارى «سحقاً للائمة» فى الأثناء كتب رسالته المشهورة عن «التسامح» التى جاءت فيها عبارته المشهورة : «الرجل الذى يدعونى هذه أن آمن بما أومن أو يلعنك الله سوف يقول : آمن بما أومن أو أقتلك ! »

لأول مرة فى حياته يحيى فولتير حياة الفضيلة التى صار يدعو أليها بحرارة. وتطرف فى حملته على رجال الدين ألى أتهام الدين نفسه ، ولذا نصب نفسه خادما للدين الحق يعلم الناس ببساطة عن محبته الله وعظمته ورحمته فصلا الحق عن الاباطيل والدين عن التعصب ، وهو يرجع التقاليد المسيحية ألى عقـــائد الاغريق والمصريين والهنود ويعتبرها مفسدة الروح المسيحية — وهو لا يقبل العجائب ولا عمـــل الصلاة للخوارق لأنه يرى أن « الصلاة الحقيقيـــة لا تتضمن طلب تغيير الناموس الطبيعى بل فى قبول هذا القانون الطبيعى كأنه أرادة الله الغير المتغيرة » : وهو كذلك لا يؤمن بحرية الأرادة ، ولا بالخلود ولو أنه حاول بدون نتيجة أن يؤمن به فى اواخر ايامه : وفى ذلك يرى أن الأيمان الحقيقى بالله يتطلب الأيمان بالخلود . ثم يقول «يجب أن يكون للعالم أله يجازى ويثيب.. أذا لم يوجد أله فمن اللازم أن نخترعه » — لم يهمه الا يكون للعالم والفيلسوف دين ولـكنه يخاف من خادمه وبوابه أذا كان بلا دين. على أن ما ملأه أعجابا وقوة شخصية هو يسوع المسيح وموعظتـه على الجبل

كان فيلسوفنا طيلة هذه المدة ينمى حديقته فى فرنى ، ولما اقتربت أيامه جعل يقول « أخشى أن

أموت قبل أن أنجز عملى » الا يدهش الانسان عندما يسمعه يقول ذلك؟ فأى عمل لم ينجزه ؟ أنه أعان ماليا وأدبياً ووظف كثيرين ، أعطى بائنة لابنة أخ كورنيل ، ترك أوثاً لكثيرين . أقام له أصحابه تمثالا نصفيا من تبرعاتهم أشارة بفضله . زار أصدقائه الاوفياء رغم ضعفه ونصح الاطباء له بلزوم الراحة .. وعلى هذه الحالة أيضا حضر تمثيل رواية أيرين وترأس جلسة الاكاديمية الفرنسية زاره بنيامين فرانكلين الامريكى المشهور ومعه حفيده ليتبارك من فولتير فوضع الشيخ يده على الصبي قائلا « عش يابنى لله وللحرية »

فى ساعة الاحتضار دخل عليه قسيس ليعرفه حب الطقس الكاثوليكى فسأله فولتير . من أنت ؟ «فأجابه الكاهن أنا سفير من لدن الله » سأله فولتير ثانية « فأين أوراق اعتمادك ؟ » فلما لم يحر هذا جوابا استدعى فولتير قسيساً آخر كتب له فولتير اقرار أيمانه هكذا « أموت أعبد الله أحب أصدقائى ، لا اكره اعدائى ، وأمقت الخرافات ! »

رفضت الكنيسة أن تدفنه فواراه الأصدقاء فى التراب خارج المدينة . وفى سنة ١٧٩١ اضطر المجلس الأهلى للثورة لويس السادس عشر ليضم بقايا فولتير الى البانثيون فسار فى موكبه ١٠٠٫٠٠٠ رجل وامرأة عدا ٦٠٠٫٠٠٠ ازدحموا فى الطرقات ، ثم أبن بهذه الكلمات « لقد أعطى للعقل البشرى حافزا .. وأعدنا للحرية »

أجل ... لهذا نعود وبعد مائة وستين عاماً من موت الرجل الى نبش سيرته ... لأنه أن كان يظن أن ما دافع عنه فولتير فى القرن الثامن عشر ماعاد يهمنا فى القرن العشرين وباتنا ربحنا الحرية التى استشهد من أجلها سقراط ويسوع وبرونو وغيرهم ، فأن نظرة واحدة الى العالم اليوم ولاسيما الى بلاد الشرق التى تسير فى شبه تضال القرون الوسطى كافية باقناعنا بأننا اليوم أحوج ما نكون الى فولتير ورسالة فولتير بطل الحرية والتسامح ؟

حديث عن النيـــــــل

لسلامه موسى

أذاعت محطة الاذاعة يوم ٢٤ من الشهر الماضى وصف الاحتفـال الشائق بوفاء النيل أى جبر الخليج . والجبر هنا يعنى الكسر . لأن المقصود هو كسر سد الخليج حتى ينفذ الماء . والمغزى من هذا الاحتفال أن ستة عشر مليون مصرى يجب أن يطمئنوا هذا العام على طعامهم ومعاشهم لأن النيل قد أوفى ولأنه سيوفى لنا الماء نشرب منه ونزرع به طول العام القادم . فالاحتفال بوفاء النيل هو اعلان البشرى لسكان مصر بأن عندهم فى العام القادم ما يكفيهم من الماء العذب

واحتفالنا بالنيل يدل على صدق الكلمة التى قالها هيرودوتس « مصر هبـة النيـل » ولكنها لم تكن كل الصدق . لأن حضارة العالم كله وليست حضارة مصر وحدها هى هبة النيل .

ولو أن هذا النيل لم يواظب على فيضانه بلا اختلاف لما اهتدى المصرى البدائى إلى الزراعة . ولو لم نعرف الزراعة فى مصر لبقى سكان هذه الكرة الأرضية على ما كانوا عليه قبل مئات الالوف من السنين يعيشون هائمين فى الغابات بلا حكومة ولا صناعة ولا زراعة ولا علوم ولا فنون

ومصر الحديثة تحتفل بعيدين من أعياد مصر القديمة هما عيد شم النسيم وعيد وفاء النيـل . ولا يقل عمر الأول عن سبعة آلاف سنة . وعمر الثانى عن ثلاثة آلاف سنة

ويمكن لذلك أن نقطع بأنهما أقدم الأعياد فى العالم . فان شم النسيم هو العيد لرأس السنة المصرية الزراعية كما كان قبل أن ينتقل إلى أول توت . وعيد الوفاء هو عيد الزراعة القـديم . وأغلب الظن أنه سبق حفر الخليج

واذا تأملنا هذين العيدين عرفنا كيف أن الزراعة قد كيفت تاريخ مصر . فان الحضارة والثقافة والحكومة والدين والاخلاق فى مصر أيام الفراعنة كانت مكيفة بالزراعة . وعيد شم النسيم وعيـد

وفاء النيل هما عيدان من أعياد الزراعة . والأصل فيما هو النيل

ومن هنا كان تقديس النيل . فقد كانت مياهه طاهرة مطهرة . وما زالت العادة الفرعونية القديمة تمارس الى وقتنا هذا حين نرى كثيراً من الاقباط يستحمون فيه فى يوم النوروز أى رأس السنة . وقد كان أسلافنا يختزنون فى ذلك اليوم مياهه للتبرك بها . وكان الاجانب يحجون اليه من الاقطار البعيدة ويتزودون فى عودتهم الى أوطانهم ببعض مياهه على نحو ما يجرى فى أيامنا فى الهند حيث يقدس الهند و كيون نهر الكنج ويتطهرون بالاستحمام فيه ويحملون مياهه للتبرك . والاحتفال بوفاء النيل هو نفسه الاحتفال بجبر الخليج . وهذا الخليج حفر أيام رمسيس الثانى . وهناك يعتقد ان أباه سيتى هو الذى شرع فى حفره حوالى سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد . ولكن من المحقق أن نخاو الثانى من فراعنة الاسرة السادسة والعشرين قد شرع سنة ٦١٠ قبل الميلاد فى توسيع هذا الخليج لايصال النيل بالبحر الاحمر عن طريق بوبسطة القريبة من الزقازيق . وان داريوس الفارسى قد أتم حفره سنة ٥٢٠ ق.م. ولكن يشك مع ذلك بأنه كان فى مصر فى ذلك الوقت ما يصل بين النيل والبحر الاحمر . إذ أننا نعود فى سنة ٢٥٠ ق.م . فنسمع أن بطليموس فيلادلفوس قد أوصل النيل بالبحر الاحمر . فاما أن هذه الرواية تعنى أن هذا الخليج لم يكن قد أتم حفره وأما أنه كان قد طم فكراه هذا الملك وجعله صالحاً للملاحة بين النهر والبحر . ثم عاد الامبراطور الرومانى تراجان فكراه وأصلحه للملاحة . وفعل ذلك عمرو بن العاص الى أن ردم ايام جعفر المنصور . ولم يبق منه الى عصرنا الحديث سوى جزء صغير جدا يصل من مصر القديمة إلى المرج . وقد ردم سنة ١٨٩٧ وصار طريقاً للترام باسم شارع الخليج . ونرجو أن يعيش هذا الاسم الذى يصل بيننا وبين نخاو

ولم يكن الاحتفال بوفاء النيل مقصورا على القاهرة أو على الحكومة . فان الشعب فى عامة القطر كان يحتفل به . فاذا جاءت مياه الفيضان كان البشير يحمل طبله ويخرج الى شوارع القاهرة للبشرى كما كان الفلاحون — ولا يزالون — يخرجون لاستقبال النيل الجديد بالطبول والتغاريد

وقد كان يصادف وقوع وفاء النيل مع النوروز أى رأس السنة القبطية وهى السنة الزراعية فكان الفرح يشترك فيه الشعب والحكومة . والتاريخ يدل على أن النوروز كان عيدا شعبيا وتاريخ مصر العربية حافل بالشطط الذى كان يجنح اليه شعب القاهرة فى الاحتفال بالنوروز حتى كان

الملوك يضطرون إلى ابطاله . وقد دعا بعضهم قبل أيام إلى جعل هذين العيدين عيدا واحدا لتقاربهما إذ لا يفصلها سوى أيام قليلة . هي هذا العام مثلا أحد عشر يوما

وليس فى الآثار ما يدل على أن المصريين القدماء عرفوا أصل النيل . ولكننا نجد رواية ذكرها المسعودى عن أيام أحمد ابن طولون ـ فقد استدعى هذا الامير عالما قبطيا مسناوسأله عن المنابع التى ينبع منها النيل فقال له هذا القبطى « أنها تنتهى إلى البحيرة التى لم يدرك طولها وعرضها . وهى نحو الارض التى الليل والنهار فيها متساويان طول الدهر . وهذا تحت الموضع الذى يسميه المنجمون الفلك المستقيم »

وفى سنة ١٩٠٩ ألقى السر وليم جارستن خطبة فى الجمعية الجغرافية فى لندن نسب الفضل فيها فى الكشف عن منابع النيل الى سبيك وستانلى . وهذا هو الشائع المعروف الآن بين جميع الجغرافيين ولكن مهندسا فرنسيا كان يعيش فى مصر قبل سبعين سنة يدعى المسيو أوجين تسو وكان واقفا على مكتشفات سبيك وستانلى فكتب سنة ١٨٦٩ يقول : « أن النتيجة التى وصل اليها الكبتن سبيك سنة ١٨٥٦ والمستر ستانلى الرحالة المشهور بعد ذلك بسبعة عشر عاما هى عين النتيجة التى وصل اليها المصريون فى العهد القديم واذاعها ذلك المؤرخ القبطى منذ أكثر من ألف سنة بين يدى أحمد بن طولون .اذ ليست تلك البحيرة التى أشار اليها ذلك القبطى فى « نحو الارض التى الليل والنهار فيها متساويان» الاهذه البحيرة أى بحيرة نيانزا التى طاف حولها الكابتن سبيك حديثا عند خط الاستواء »

وقد رأيت ان انقل رأى هذا الفرنسى حتى لا أتورط فى رأى تحملنى فيه وطنيتى على الأغراض. ويمكن كلا منا ان يزن كلمات هذا الشيخ المصرى وتعليق المهندس الفرنسى عليها

« ٥ »

قال برستد المؤرخ المشهور :

« كان للمصريين القدماء آلهة كثيرة أعظمها اثنان . أحدهما الشمس التى يتألق سناها فى سماء مصر الصافية . وهى اعظم الآلهة عندهم . وقد شادوا لعبادة هذا الاله هيا كل جليلة وجعلوا الهرم الكبير رمزا مقدساً له . وله رمزا آخر هو قرص الشمس المجنح . ومن اسمائه رع . وكانت هليوبوليس المركز الرئيس لعبادته . اما الأله الثانى فهو النيل الذى كانوا ينظرون اليه والى الأرض التى ينعشها

والحياة النباتية التى يبعثها فيها كأنها جميعا شىء واحد ألهوه ودعوه ازوريس . وهو حياة الأرض التى لاتمنى بل تذوى ثم تتجدد كل سنة . وكان من بواعث السرور عند كل مصرى اعتقاده ان هذا الأله — النيل — المانح للحياة وكل ما يحتاج اليه الأنسان فى هذا العالم هو ايضا الذى يعنى به فى العالم الثانى بعد أن يوارى جثمانه فى مدافن الجيزه « واوزريس هذا الذى يمثل النيل هو اوصير الذى نراه فى أسماء مدن مصرية كثيرة تدعى أبو صير . وتعدد أسمائه فى المدن المصرية يرجع إلى اسطورة رائعة تتعلق به وبأخته التى هى أيضا زوجة — أسيس

ولفظة « النيل » مصرية الأصل ترجع إلى « نى » اداة التعريف للجمع و « يارو » أسم النهر . فالاسم الأصلى هو نى يارو .ولكن لما كان سكان المناطق الشمالية يبدلون الراء لاما فقد صار الأسم نيالو . وقد وضع فى صيغة الجمع لأن فروع النيل فى الوجه البحرى كانت سبعة . ومازلنا نحتفظ فى لفظة اشتوم باللفظة المصرية القديمة للمكان الذى يتصل فيه النيل أو فروعه بالبحيرة وهذه اللفظة تعنى فى الأصل الباب او عتبة الباب . ولفظة الترعة هى تعريب تى يارو اى النهر

وهنا بقيت الراء كما هى فى أصلها المصرى القديم .والكلمة التى نقلناها عن المؤرخ برستد من أن النيل وارض مصر والزراعة كانت مجموعة فى شخص الاله اوزريس تدل على عقيدة كانت متشعبة فى نفوس المصريين القدماء . وإذا أردنا تفسيرها الكامل فعلينا ان نقرأ « الغصن الذهبى » للسر فريزر . وهناك نعرف كيف كان المصريون بل وسائر الامم التى نقلت عن المصريين يقتلون الههم ويكون عليه وقت الحصاد لأنه قد تمثل فى الزرع فهما كان أم شعيرا أم ذرة .فحصاده هو قتله . وقد عجب بلوتارك لهذه الظاهرة فى جميع الامم الزراعية وتساءل كيف يتفق ان يحزن الفلاحون ويبكون وقت الحصاد حين كان ينتظر منهم الفرح للمحصول الجديد . ولكننا نحن لانعجب الآن لأننا نفهم منطق اسلافنا . فقد وزع جثمان الأله اوزوريس فى انحاء مصر حتى تعددت المدن التى تسمى « أبو صير » باسمه فبعث جثمانه الخير والبركة ونما وزكا زرعاً جميلا فى التربة المصرية وهو حين يأتى الفلاح اخر الموسم بمنجلة لكى يحصد هذا الزرع أنما يقتله . والفلاح ينوح عليه لهذا السبب حين كان يجب فى منطقنا المادى الحاضر ان يفرح ويتغنى

وهذا المنطق القديم هو الذى كان سببا لتلك الأسطورة التى ذكرها بعض الكتاب من

ان المصريين كانوا يزينون فتاة بعدان يترضوا ابويهاثم يقدمونها كل عام للنيل عروساله قبيل الفيضان فان المصريين منذ الأسر الفرعونية لم يعرفوا التضحيــة البشرية وانما كانوا يحتفلون بجبر الخليج ويقومون بممارسات تتصل بعبادة اوزوريس . فاشتبهت هذه الممارسات على بعض الكتاب فمن ذلك مثلا ان سد الخليج كان تزرع منه حبة الذرة فتنبت شجيرة فوق تراب السد . فاذا ازيل هذا السد القيت الشجرة فى الماء . وقد تمثل هذه الشجيرة اوزوريس اولا تمثله وتزعها قد يعنى فى منطق الدين القديم قتل الاله

وقبل ان أختم هذه الكلمة الموجزة عن النيل والاحتفـــال بوفائه يجب أن نشكر عبد السلام الشاذلى باشا محافظ العاصمة للهمة السامية التى ابداها فى تنظيم هذا الاحتفال وتوفير أبهته مما جعل التاريخ يحيا فى هذا اليوم . ثم أظن انى لن اتجاوز حدود هذه الكلمة اذا اقترحت ان يوحد العيدان وفاء النيل والنوروز . فان الفرق بينهما ايام قليلة والمغزى منهما مشترك . فان النوروز هو رأس السنه الزراعية التى لايمكن أن يجهلها فلاح مصرى سواء أكان مسلما ام مسيحيا . فهو لا يزال ينطق باسم الرب توت والربه هاتور ولا يزال يعرف رع فى شهر مسرى اى مسرع . ولا يزال لسانه يجرى بالفدان والقيراط والطوريه والتاف . وكلها مصريه وهذه السنه المصريه القديمة هى افضـــل نظام للتوقيت بل ان الذين يحاولون اصلاح السنه الاوربيه يرجعون إلى نظام قريب من نظام السنه القبطية الزراعيـــة

ولما كان الاحتفال بوفاء النيل هو احتفال زراعى وهو اعلان الفرح لأن مياه النيل ستفى العام كله لسقيا الزرع فان توحيد العيدين يتفق ومنطق التاريخ المصرى الذى كانت ولاتزال تكيفـه الزراعة . لاننا قبل كل شيء أمة فلاحين ولايسعنا الا ان نكبر من شأن النيل كما لا يسعنا أن نستغنى عن السنة الزراعية التى لاتزال تحتفظ باسمائها الفرعونية والمنطق يصرح بضرورة الجمع بين العيدين أى أن ينقل الاحتفال بوفاء النيل إلى يوم النوروز .

العصور الاربعة

فى تاريخ الأدب الانجليزى

لبعض أدبائنا المحدثين — مثل الأستاذ المازنى — رأى فى أن الأدب الانجليزى هو أنه كبير الشبه بأدبنا العربى ، وذلك لتشابه المزاج الذى تحدثه حياة الصحراء وحياة البحر ، لأن طبيعتهما متقاربة « فكل منهما قوة غادرة لا أمان لها ولا اطمئنان اليها ولا سبيل الى كبح طغيانها ، فأخلق بأن يكون أثرهما فى تكوين الشخصية واحدا ، وأحرى بالأدب الانجليزى أن يكون أشد موافقة فى جوهره لمزاج العربى من الآداب اللاتينية ، كالفرنسى والايطالى وماإليهما : وأن يكون روح الادبين الانجليزى والعربى واحدا وان اختلفت المظاهر وتنوعت الشكول وتباينت المصنوعات ، وأن يكون أبناء العربية أحق باحسان فهم الادب الانجليزى منهم للآداب الاخرى » .

وبالرغم مما فى هـذا الرأى من صواب ، وبالرغم من أن عدد الدارسين باللغة الانجليزية بيننا أضعاف عدد الدارسين باللغة الفرنسية ، فان أدب هذه الاخيرة أوسع انتشارا لدينا ، وعندنا من ينتج فيه انتاجا لا يخلو من روعة أو متعة ، فى حين لا نسمع عن المهتمين بالادب الانجليزى من المصريين أو المتعمقين فيه ! ولسنا نعرف أحدا منهم أنتج فيه شيئا مذكورا — إذا استثنينا الدكتور أبو شادى . وإذا كان لنا أن نؤمل فى شىء من الخير تأتى به مدارسنا ، فذلك أن تدفع الطلاب إلى حب الاستزادة مما يدرسون ، وأن تحدوهم — فيما يختص بموضوعنا — إلى محاولة التعرف على آداب اللغة الانجليزية وما أوجده أئمة الفكر فيها من آثار .

وقد نحاول التحدث إلى هؤلاء الاعزاء فى الادب الانجليزى فى تبسط ويسر فى كلمات غير هذه أما هذا ، فهو بحث مجمل ، يحدد لهم أفكارهم ودراساتهم السابقة والمقبلة فى هذا الموضوع يقسم الأدب الانجليزى عادة الى أربعة عصور .

ولكن سبق العصر الأول منها ظهور شخصية كان لها أبعد الأثر فى صبغته والطريقة التى سار عليها فيا بعد . هذه الشخصية البعيدة الأثر ، هى « جيوفرى شوسر » ، أول الشعراء الانجليز المعدودين ، والذى يسمى بأبى الشعر الانجليزى ، إذ انه أدى للغته ما أداه أمرؤ القيس للعربية ، وما أداه دانتى للايطالية . فقد كان الشعر الانجليزى حتى ذاك ركيكا غير متزن ، فجاء شوسر ، ومكنته ظروفه من السفر الى إيطاليا فى مطلع شبابه ، فدرس هناك الشعراء العظام الذين سبقوه بقليل أمثال دانتى وبترارك وأعجب بهم ، وقبس منهم ، ثم عندما عاد الى وطنه أدخل على شعره غير قليل من التغيير والتبـــديل . وهو يمتاز بقدرته على إيضـــاح الشخصيات وحبك الحوار . ويعتبر أبرع رواة القصة الشعريةالتى تتردد خلالها رنة موسيقية دائمة .

وأهم ما أنتج ، مجموعة من الروايات أسماها «قصص كنتربرى » ، وهى قصص شعرى مكتوب على لسان الحجاج الى مدفن القديس « توماس آبيكيت » . والغالب انه قام بذلك الحج فعلا ، وسمع فى الطريق كثيرا من الحكايات التى كانت شائعة على الألسن فى ذلك الحين ، والتى كان يقضى بها الحجاج أوقاتهم ويستعينون بها على مشاق الرحلة . وقد أضاف إليها وحسن فيها وأعمل فنه حتى ليعد من الافتيات على حقه ألا تنسب إليه . وهى تعطينا صورة من أصدق الصور عن الحياة والأخلاق الانجليزية فى العصور الوسطى .

وقد مات شوسر سنة ١٤٠٠ ، ودفن فى كنيسة وستمنستر . وهو اول شاعر ينال هذا الشرف

* * *

شوسر فى الواقع سابق للعصر الذى اتفق مؤرخو الأدب الانجليزى على تسميته بالعصر الأول بما يقرب من قرن كامل من الزمان . وبعد وفاته لم يكتب شعرا انجليزى جيد حتى عصر الملكة اليزابيث ، الذى يعتبر العصر الأول فى تاريخ الأدب الانجليزى وفيه بلغت الروايه التمثيلية الذروة وكان فيه للأغانى بعض النصيب.وأهم شعرائه : شكسبير ، وسبنسر ، وبن جونسون، ومارلو

ويعتبر ميلتون أكبر أديب ظهر فى العصر الثانى .

والعصر الثالث ينقسم الى قسمين . الأول يمثله بوب . والثانى تمثله جمهرة من الشعراء أهمهم جراى وكوبر وبيرنز وجولد سمث .

وأما العصر الرابع أو شعر القرن التاسع عشر ؛ فيمتاز بمن ظهروا فيه ، أمثال وردزورث ، وبيرون ، وشلى ، وكيتس ، وكولريدج ، وتنسيون ، وبروننج .

ومن البديهى أن هذه العصور لا ينفصل كل منها عن الآخر انفصالا تاما ، وأنه ليست ثم حدود معينة ثابتة بين عصر وعصر ، فهى كلها - كما فى جميع الآداب الاخرى - متصلة ، وانما يغلب على كل عهد من العهود روح خاص

العصر الأول ١٥٥٣ — ١٦١٦

فى أيام اليزابيث ، كان القصة المسرحية المكان الاول فى الادب . وكان الاهتمام كله موجها نحو النوع المعروف بالدرامة . وفى هذه الناحية نتاج لا يعدله انتاج هذا العصر وإنتاج فى تاريخ الادب الانجليزى كله

وكانت الاناشيد ، الشعرية دائمة فيه تتردد فى كل فم ، وظهر لها شعراؤها الذين كتبوها وفيها جمال طبيعى نادر صاف لا أثر للتكلف فيه .

ولاشك فى أن شكسبير هو اعظم شعراء هذا العصر . وقد صور فى مؤلفاته الكثيرة الحياة فى ذلك الزمن الذى ينتمى إليه . إذ ان الأدب مرآة لروح عصره .

ونحن نعلم ان حركات النهضة والقوة فى الآداب لاتحدث إلا حينا توجد مؤثرات كبرى تبعث على النشاط . وكان لهذه الحركة الخصبة فى عصر أليزابيث عوامل متعددة أهمها ثلاثة :

الأول ان الانجليز بدأوا يدرسون فى ذلك العهد ما كتبه الاغريق والرومان ، فاتصلت عقولهم فجاءة بكنوز الأدب التى خلفتها الحضارة القديمة التى بلغت حد الروعة فى كثير من نواحى الفكر فأثار هذا الميراث الكبير الملئ بالحكمة والجمال كل قوى التخيل والذكاء الكامنة فى العقول .

والثانى هو التجديد . وهذا هو عنصر الحيوية الكفيل بأن يذكى الروح فى أية أمة من الأمم وفى أى أدب من الآداب . إذ انه لن يظهر حتى تظهر إزاءه فئة الرجعيين أو المحافظين ، وتحتدم بينهما المنافسة والجدل . ومنه جاء روح البحث الجرئ ، وروح الاعتداد التى تصبغ أعمال كل قوى يلقى معارضة قوية . ومنه جاء التفكير المستقل ، لما زاد فى تحرر الأدب ، وتقدمه .

والعامل الثالث هو الحالة السياسية للبلاد . فقد بدأت تظهر فى تلك الايام عظمة بريطانيا الحربية

وكان الاسطول حديث التكوين ، وكان مع ذلك دائم الانتصار ، حتى انه قضى على أسطول الارمادا الاسبانى الذى ظل يسود البحار أمدا طويلا . وكان الانجليز فى ذلك الحين مخمورين بوطنهم متحمسين . وهذا الشعور يظهر جليا فى روايات شكسبير التاريخية . ثم إن ذلك الفتح والاستعمار كان باعثا للقوم على التنقل والسياحة ، فأبحر بعضهم الى أمريكا : العالم الجديد ، الذى لم يكن قد مضى على كشفه غير قليل ، وعادوا مزودين بأعجب القصص . فأشعلت هذه الرحلات الخيال ، وأنطقت الشعراء المطبوعين بالشعر . فكان ذلك العصر عصر حركة عنيفة وعمل متواصل . والشعر الممتاز لا يكتب إلا فى أمثال هذه العصور . وقد وجد كل هذا التوثب وكل هـذه الحركة وهـذا اللون لاعظم العصور فى التاريخ الانجليزى فى شكسبير صوتا يعبر عنه

العصر الثانى ١٦١٦ — ١٧٠٠

كان عصر اليزابيث كما رأينا عصر المسرحية والانشودة . وفى العصر الذى تلاه ، استمر هذان النوعان من الشعر أيضا ، إلا أن المسرحية لم تبق لها تلك القوة والروعة التى تفردت بها فى العصر الاول . وأما الانشودة فمع انها لم تحتفظ بكل جدتها ، فقد أزهرت على ايدى هريك وفوجان وغيرهما . وساعدها الدين على التقدم ؛ فقد وجدت فيه ميدانا جديدا ما يزال بكرا ؛ فأنشئت فى ذلك العصر قصائد دينية ما تزال تحفظ وتردد الى الآن .

ومهما يكن من أمر ، فان ملتون هو مبعث العظمة فى هذا العصر . فهو اكبر شعرائه ، بل الواقع انه اكبر شاعر انجليزى بعد شكسبير . ويعتبر « الفردوس المفقود » احسن ما انتج . وهو من قصص البطولة . أو هو قصيدة طويلة تصف خلق الانسان وسقوطه .

وفى آخر هذا العصر بدأ دريدن يكتب وبدأ اسمه يسير بين الناس . ولكنه يعتبر دائما من شعراء القرن الثامن عشر ، اذ أن شعره يميل الى أن يكون من شعر المدرسة الحديثة ؛ وهى المدرسة التى سيطرت على العصر التالى .

العصر الثالث ١٧٠٠ — ١٨٠٠

تبدأ العناصر الأساسية للشعر الحديث فى الظهور منذ العصر السابق ، وتتضح فى دريدن كما

قدمنا ؛ وهى تأخذ مداها وتبدو قوية جلية محددة فى بوب

ويمتاز شعر هذا العصر على سابقيه ، بأن شعراءها كانوا يعنون دائما بالعواطف الانسانية وحدها ؛ كالحب ، والبغض ، والغيرة وأشباهها ، ولم يكونوا يخرجون عن هذه الدائرة الا قليلا . ولكن دريدن وبوب وبقية هؤلاء الشعراء المحدثين ، تناولوا نواحى الحياة جميعا ؛ وكتبوا فى كل الموضوعات بالشعر . فأصبح على أيديهم عقليا أكثر مما هو وجدانى . ووجدت تبعا لهذا أغراض جديدة لم تكن تظهر فى الشعر السابق لهذا العصر ؛ أو كانت تظهر ولكنها ضعيفة ، مثل الشعر الفلسفى والشعر التعليمى .

ولكن لم تكد حياة بوب تقارب الانتهاء ، حتى كانت روح الشعر قد تغيرت تغيرا آخر قربها الى روح شعر القرن التاسع عشر فقد كان شعر بوب ومن حوله يتناول الحياة كما هى ، ويعنى بحياة المدن على الأخص . ولكن الناس بدأوا يتحولون عن ذلك ويميلون الى الحياة المتواضعة الهنيئة فى الريف وبدأ الشعر يأخذ صبغة إنسانية خاصة . تظهر فى « مراثى » جراى أولا ، ثم تشتد فى كوبر وجولد سمث . وقد أوجد هذان الشاعران فى حبهما للريف وحدبهما على الضعفاء . كثيرا من روح - إن لم يكن من طريقة - شعراء القرن التاسع عشر . وفيهما وفى غيرهما من شعراء عصرهما ، نجد أن الوصف الطبيعى قد عاد ولم يكن أحد يكتبه من عهد ميلتون .

وكما مهد دريدن لشعر القرن الثامن عشر فى القرن السابع عشر : مهد « بليك » لشعر القرن التاسع عشر فى هذا القرن الثامن عشر . فهو معدود من شعراء العصر الرابع ؛ رغم أنه — من حيث تاريخ السنين — جاء فى العصر الثالث .

العصر الرابع ١٨٠٠ —

هنا نأتى الى عصر لا يقل روعة ولا وفرة انتاج عن عصر اليزابيث . وقد بدأت روحه تظهر فى جراى وبيرنز وكوبر وجولد سمث . فالعطف على النوع الانسانى كله ، وعلى الفقراء والمساكين بوجه خاص ، والميل المفرط الى الريف . والاشادة بذكره ، وبغض الظلم الاجتماعى وفروق الطبقات — كل هذه الصفات التى تلمح فى هؤلاء الشعراء ، وجدت فى شعراء العصر الجديد سبيلا للظهور والتعبير عنها أقوى من سابقيهم

وفى هذا العصر أيضا يزداد حب الجمال حتى ليكاد يصل الى حد التعبد له . وكذلك حب الكتابة عن الماضى القديم والحضارات التى بادت ، والتفكير فى ذلك الجو الغامض الذى يحيط بها ، وذلك الوسط المجهول الذى يستهوى العقول اليها . ولعل من أبرز صفات شعر هذا القرن التاسع عشر ، ان الكتابات التى ظهرت فيه عن العصور الاخرى ، فيها المقدرة الفائقة على اجادة تصوير حياتها وبعث ظروفها وملابساتها حية من جديد . وهذا النوع من الكتابة يكثر فى النصف الأخير من هذا القرن ، وخاصة فى شعر كيتس وسكوت ، ثم يكاد يشغل كل مؤلفات روزيتى

واذا استعدنا شعر القرن التاسع عشر ، وجدنا أن تاريخ العصور التى تقدمته جميعا كتب فيه والاغانى . وقد تميز فى هذا الميدان برواننج ، وتينيسون أكبر شعراء النصف الثانى من هذا القرن .

وأهمية الشعر الحديث مصدرها اختلاف ميادينه واتساعها . فما من ناحية من نواحى الفكر أو الحياة الانسانية الا ولها فيه مكان ، وما من مشكلة من مشكلات الاجتماع الا وبحثها مع الباحثين وللوطنية أثرها أيضا فى تقويته ، لا يقل عن أثرها فى عصر اليزابيث فيندر أن تجد مقاطعة انجليزية لم توصف مناظرها ولم يتغن شعراؤها بجمالها . ويندر أن تجد بطلا لم تروسيرته بالسفر .

وظاهرة أخرى ، ذلك أن معظم شعرائه كانوا من البارعين فى الموسيقى ، وكانت لهم آذان موسيقية حساسة . ولذا فاق شيلى وتنيسون وسوينبرن كل من عداهم من الشعراء فى جمال مقطوعاتهم الغنائية .

وميزة أخرى لهذا العصر ، إننا نجد فى شيلى ووردزورث شعور الاحترام العميق والحب العظيم لفنهم . حتى أصبحوا ينظرون الى الشعر على أنه شىء مقدس . ويعتبرون الشاعر نوعا من الأنبياء فوق مستوى البشر ، ولذا يتطلبون فيه صفات هى اسمى ما يطلب من إنسان ، اذا كان يريد أن يأتى بشىء جدير باسم الشعر .

ولا يمكن لنا أن نحيط بكل نواحى هذا العصر العظيم فى هذا البحث فقد كتبت فيه كل أنواع الشعر . وهو لا يقل مكانه فى تاريخ الادب الانجليزى عن عصر اليزابيث ، بل ان انتاجه فاق ذلك العصر فى كثير من النواحى . والدرامة العنيفة هى الميدان الوحيد الذى لم يأت فيه بشىء يمكن أن يقارن بدرامات شكسبير الخالدة .

أسعد حليم

أخى الذى أردت ان أقتله

بقلم الاستاذ جرجس الياس

قصة مترجمة عن الانجليزية نالت جائزة
قدرها مائة جنية

أن أقرب ذكريات الطفولة التى أعيها بذاكرتى هى حين كان أخى كليفورد شابا فى السابعة عشر من عمره . طويل القامة قمحى اللون . وكنت كطفل فى سن السابعة أضع أخى الاكبر فى مصاف التقديس . كنت أنظر اليه كبطل عظيم بعين الاجلال . وكان من عجيب الصدف أن يتسمى أخى بأسم بلدتنا الصناعية « كليفورد » وكان أخى دائما يفاخر أقرانه بأنه يوما ماسيحكم بلدة كليفورد بقبضة من حديد .

كان أخى بفضل ما أوتيه من قوة البدن وذلاقة اللسان ، ولكمته التى لم تكن تخطىء موضعها قط أن جعلناه رئيسا لجماعتنا « شلتنا » . كان أخى أيضا يمارس أغلب الالعاب الرياضية فكانت له منزلة فى عيون الناس وأن كانوا لقبوه بالأحمق

وكان من أحب أنواع الرياضة عنده أن يقفز الى سيارة نقل « لورى » عندما تتخطى أول الكوبرى المقام على النهر . ثم يخلع ملابسه ويرميها لأحد الواقفين ويلبس لباس البحر ثم يقفز الى النهر قبل أن تدرك السيارة النهاية الاخرى للكوبرى . وبالطبع كان ذلك يجرى بدون علم سائق السيارة .وحاول البعض أن يتعلم تلك اللعبة ولكن أقلعوا عن ذلك حينا أصطدم رأس كليفورد بجسم كان طافيا فوق الماء .

وقد زادنى احتقرنا له سرعة تماثله للشفاء

وحين بلغت سن العاشرة كنت قد أتممت أستعدادى للقيام بتجربة القفز من السيارة الى النهر وأتى اليوم الموعود . وقد أخفينا كل مايتعلق بتلك المجازفة عن والدى . فتركنا كلانا المائدة قبل أنتهاء الطعام . وسرنا الى النهر حيث وجدنا الرفاق واقفين فى أشعة الشمس يترقبون موعد القفز من السيارة الى النهر

تخيرت سيارة لم تكن بها حمولة كثيرة . وحينما وقفت لاقفز رأيت أن مقدم السيارة يحجب عن عينى رؤية الماء . زيادة على الصناديق التى كانت على الجانبين . ولكنى كنت مصمما على التنفيذ، فقفزت !

لم أكن بحاجة أن أكتب قصتى هذه لو كنت عرفت من أين أقفز . إذ عوضا عن قفزى الى الماء وجدتنى أهوى على الحاجز الحجرى فارتطم رأسى بالصخر ثم مرت سيارة مسرعة ففعلت الباقى الذى كان لابد منه

ومرت أيام . وأخيرا فتحت عينى فوقعتا على عينى والدتى الساهدتين تترقبانى .

ولقد خيل الى أنها تقدمت فى العمر جدا وأصبحت هزيلة منذ رأيتها لآخر مرة جلست بجانبها على المائدة وتركتها هناك لم تنته من طعامها بعد .

سألتها بلهفة ماذا جرى يا أماه

أجابت لا شىء يابنى . فقط عليك أن تنام دون أى حركة وسيسير كل شىء فى طريق حسن. قالت هذا ثم مالت بشفتيها تلثم جبينى ولكنى شعرت ان هناك شيئا تتعمد اخفاءه عنى .

وشعرت أيضا بثقل عظيم يجذب رجلى الى أسفل . حاولت الحركة ولكن سرى فى جسمى ألم كوخز الابر فأفلت صرخة من فمى فوضعت أمى يدها على جبهتى المتقدة لتخفف عنى وحينئذ دخل أخى كليفورد يتبعه والدى . وعجبت أن رأيت والدى ينظر الى والدموع تتساقط من عينيه وقد أشتعل رأسه شيبا . بعكس ماظهر به كليفورد إذ قال ساخرا تشجع يافرنون . ستخرج من هنا فى وقت قصير ثم أمتدت يده تعبث بشعره المهدل وتتحسس أثار صدمة قاسية فى رأسه كانت تذكاراً دائما لرياضته المحبوبة

أجبته على كلماته بأنى سأخرج سريعا وأزاول لعبة القفز دون أن أخبره وقد حاولت جهدى أن

لا أظهر بمظهر الجبن أمام ذلك البطل لأنى أعرف عنه أنه لا يبالى بالألم ولا حتى بالموت . وأذكر أنه قال لى يوما : أن الانسان لايموت سوى مرة واحدة فلا تقلق نفسك » وقد خرج والدى وأخى وبقيت أنا وأمى فى الغرفة. لقد حاولت أمى المسكينة أن تظهر بمظهر الشجاعة ولكن لم تمكن ابتساماتها الباهته لتخفى عنى شيئا مما فى قلبها ظلت بجوارى مدة اذ لم تجرؤ فى خلالها أن تخبرنى عن مدى خطورة جراحى وكان الاطباء يعطونى قصصا لاقرأ فيها أثناء قيامهم بتنظيف وتضميد الجراح محاولين جهدهم أن لايدعونى أرى ماذا كانوا يعملون فكنت أتحمل الألم كجندى شجاع

ولما استمدت قوتى . توافد على الزائرون يحملون باقات الورد وكنت اقرأ فى وجوههم مقدار مايكابدونه من ألم لأجلى . وقد كنا نقيم ما يشبه الولائم لأصدقائى الصغار وأذكر جيدا أنه لم يرتفع صوتى بالشكوى من الألم فأظهر الاطفال أعجابهم بشجاعتى .

كان كليفورد قد أنقطع عن زيارتى لايام كثيرة الى أن جاء يوما مع والدى وأبتدرنى بسؤاله : والآن كيف حال المجروح ؟» سألته مندهشا « أى مجروح تعنى ؟! فأجابنى»

«يابنى . أنك تعلم انهم قطعوا ساقيك»

لو أن قنبلة اصابت وجهى فحطمته لما تألمت منها بقدر ماتألمت من كلمات أخى وعلمت أن ذلك كان السر فى الهمس الكثير الذى كان يجرى فى غرفتى

لن يستطيع أحد ان يتصور مقدار تعاستى وقتئذ الا ذلك الشخص الذى قدر عليه ان تقطع قدماه او ساقاه . تحسست بيدى فعرفت ان قدمى قد زالتا من مكانهما حقا صعدت بنظرتى الى اخى فرأيتـه كحيوان مفترس ينظر الى فلا يرى سوى عينين مليئتين بالدموع ومن العسير على ان اصور حال طفل ينتظر لبطل يقدسه ويجله فيجد ان سمات البطولة قد فارقتـه . قلت له سأشفى قريبا . ولكن ! انى لاخى ان يدرى ان قلبى كان على وشك السقوط من فى

وقبل ان تعود امى من الخارج خرج كليفورد . فهاجمتنى افكار سوداء مراكز دوائرها هى تلك المأساة التى كنت اخوضها

لقد قطعت قدماى ! من يستطيع ان يرسم شعور طفل فى سن العاشرة . وهو يرزح تحت عبء هذه الافكار ؟ نعم . ليس فى مقدورى ان اجرى . ولن استطيع ان اعوم . ولن اقدر ان

اقفز الى سيارة مرة اخرى . آه ليتنى فكرت قبل ان اقفز

تماثلت للشفاء فكانوا يضعونى على مقعد متحرك كالناس الذين كنت اراهم يمرون امامى كثيرا كنت اراهم يتكلفون الابتسامات بوجوههم بعيدا عن البشر . ولكن لم يخطر ببالى قط انى سأكون يوما ما واحداً منهم . استسلمت للاحزان فوطنت فى قلبى

ويوما ما رأتنى والدتى وانا ابكى منتحبا ودموعى تسيل على وسادتى فلم يكن منها سوى ان قالت « كن شجاعا يابنى » ولكنى عرفت وقتئذ كم كانت تتألم لاجلى ويزيدها ايلاما انها كانت تحاول ان تخفى عنى معرفة ماصرت إليه كى لاتزيد عذابى .

اجل . يجب على ان اكون شجاعا . ليس حبا فى سواد عيون الناس ولكن لاجل ذلك القلب الحنون . قلب امى . التى ضحت بالشىء الكثير من اجل ابنائها ومنذ ذلك اليوم لم ترنى امى اشكو او اتذمر

كانت امى ترحب بأصدقائى الصغار الذين اتوا لزيارتى ولكن كليفورد كان يظهر نحوهم بمظهر الجفاء خصوصا بعد عودتى للمنزل . ويوما ما جاءت لزيارتى ابنة شريك ابى واسمها تامى راثبورن وكان عمرها يومئذ سبع سنوات واصبحت هى وامى رفيقتين دائمتين لى فى المنزل كانتا تلعبان معى وحين يصحو الجو كانتا تدفعانى فى عربة امام المنزل كالطفل الصغير وحين كان يشتد البرد كان موضع البتر يؤلمنى جدا . كانت والدتى ترى ذلك واعلم يقينا ان ذلك كان كطعنات نجلاوات فى صميم قلبها ولكنها كانت تظهر حنوا وعناية لاحد لها فى كل ما كانت تعمله معى او لأجلى .

أتى وقت ساءت فيه صحة والدتى ونصحها الطبيب أن تكف عن عمل أى شىء فلزمت غرفتها ثم فكرت أن أكمل دراستى فطلبت الى « تامى » أن تحضر كتبها لمنزلنا فكنا نقرأ سويا . كنت متقدما عن زميلاتى هذه قبل ترك المدرسة ولكنى وجدت نفسى غير قادر أن أسير وإياها فى درس واحد

جاء فصل الصيف فتحسنت حال أمى ولكن اقتضت الضرورة أن تكون لدينا خادمة تعنى بشئون المنزل بينما كانت والدتى هى التى تقوم على خدمتى أنا فقط . فعلمتنى الكتابة ولكن أرغمها برد الخريف ان تلازم فراشها ثانية ففتحنا بابا يصل حجرتى بحجرتها كى يمكننى ان اذهب اليها على

المقعد المتحرك كما اردت ذلك . مرت ثلاث سنوات على هـذا الحال وبعدها بلغ فيها الضعف مبلغا عظيما . كانت تشعر وقتئذ انها قاربت على النهاية

فنادتني يوما وقالت لى باكية

« انك الآن فى الثالثة عشر يا فرنون . وسوف تواجهك الحياة بمصاعب جمة يجب عليـك أن تذللها كلها . سوف تعود لمدرستك فعدنى بأنك ستواظب وتثابر على الدرس . عـدنى أنك لن تقف فى منتصف الطريق كما فعل أخوك . يجب أن تعد نفسك لمستقبل أفضل من العمل فى المناجم »

سألتها باكيا أيضاً « لماذا تتكلمين هكذا يا أماه »

فأجابت « كى يفسح العجائز مكاناً للشباب . حياتى قد أصبحت خلف بينما حياتك مازالت أمامك فيجب أن تسير فى حياتك بشىء يستحق أن تفخر به »

لم أجب سوى بكلمة نعم . وحـين عاد والدى وأخى فى المساء تحدثت معهم والدتى كثيرا ثم أمسكت بذراع أخى وقالت له « يا بنى . حياتى أضحت قاب قوسين أو أدنى من الموت . وسيكون ذلك الامر عظيم الاثر فى حياة أخيك الفتية . أنه أمر صعب عليه مواجهته ولقد رأيتك تظهر بمظهر الجفاء والاهمال نحو أخيك عدنى يا بنى أنك سوف لا تتخلى عنه وأنك تحافظ عليه . سوف لا تتركه يتخبط فى ظلمات الحياة » أجابها كليفورد « كلا بالطبع ! ولكن لماذا كل هذا ؟ سوف تتحسن صحتك كثيراً أما والدى فقد كان صامتا وأخـيراً ربت على كتف أخى وقال له « أنك على حق يا كليفورد . وقضاء الله لا راد له ويجب عليك أنت أن تبدأ حيث ننتهى أنا وأمك » فقام كليفورد متمجرقا وترك الغرفة وبالرغم من العناية الطبية العظيمة التى بذلت مع والدتى ضعفت قواها وبعد أيام قـلائل كنت جالسا بجوارها واذا بى أراها جثة هامدة

تناولت يد التغيير كل شىء بعد وفاة أمى . فوجدت نفسى كئائه فى برية قفرة . كنت فى حاجة إلى صديق فوجدته فى شخص تامى فوجهت جل اهتمامى نحوها . اذ كانت اعتقادات الخادمة بولى فى الخرافات والاوهام تجعلنى أنفر منها وان كانت تظهر نحوى مظاهر العطف والحنان .

عاودنى الالم مرة أخرى فعادنى الدكتور جراى طبيب عائلتنا وقرر أنه لا بد من اجراء عملية أخرى فذهبت الى مستشفى فى كارلنجتـون وقد تملكنى العجب من أعمال الاطباء هنالك . فصرت

أتتبع باهتمام كل ما كانوا يفعلون وأخيرا عدت للمنزل بعد أن عملت لى أرجل صناعية واذ رآنى كليفورد أمشى على أرجل صناعية قال « هذا حسن .الآن تستطيع أن تؤدى عملا نافعا فتكسب قوت يومك بدلا من أن تكون عالة علينا » فتألمت جداً لما قاله أخى .

كان أصدقائى الصغار قد كبروا وأصبح كل منهم فى عمل بأحد المناجم ولذلك لم يرنى منهم كثيرون وان كان البعض قد تجنبوا رؤيتى فعلا الا أن ناسى لم تكن منهم . كانت ترقص طربا حين ترانى وتتأبط ذراعى وتسير بى حيث ذكريات الطفولة العزيزة .

عدت للمدرسة فوضعونى فى فصل الاطفال الصغار فأزعجتنى أسئلة أولئك الاطفال عن ماذا حل برجلى فلم يكن من ناسى الا أنها كانت تطردهم دائما بعيدا عنى . وكانت دائما تنتظرنى عند باب الفصل فنذهب سويا للمنزل وان أنس لا أنس تلك النظرات المتهية التى كان يوجهها الى تلميذ اسم ديك كان معجبا بناسى دون سائر فتيات المدرسة ويوما ما دنا منها وقال لها: وماذا يعود عليك حين تكون بصحبة ذلك الكسيح ؟ فكان جوابها على ذلك أن صفعته على وجهه وجاءت الى حانقة وسارت معى للمنزل ولكن بعض الاطفال الذين شاهدوا هذا الحادث أطلقوا على اسم « ذى الارجل الخشبية » وتارة كانوا ينادونى بهذا الاسم وطورا ينادونى « بالكسيح » . وحتى أخى كليفورد كان يناديني هكذا متعمدا اغاظتى .

لم أجد مندوحة ازاء ذلك الا أن أحاول الانزواء عن كل الناس . فلم أتخذ صديقا سوى ناسى وولدا آخرا اسمه توم كنت قد أنقذت كلبه من تحت سيارة كادت تحطمه ، وطدت العزم أن أسبق زملائى فى الفصل واريهم انى وان كنت ذا أرجل خشبية لكن لم أكن دمية تتحرك كما كانوا يقولون واذ راى كليفورد انى ضاعفت اجتهادى زجرنى قائلا : سوف تجن بسبب هؤلاء الاطفال ولكنى لم ارضخ لتهديده فثابرت واجتهدت . ولم أكتف فقط بالتفوق على زملائى الصغار بل لحقت بزملائى القدماء وأكثر من ذلك أصبح ترتيبى الاول

كان والدى يود أن أتمم دراستى ولكن وافته المنية فى شهر يوليو بعد ذلك وتركنى فى رعاية أخى اذ كان هو الوارث لكل شىء فما كان منه الا أن أخذنى الى المنجم لأزن الفحم بدلا من الذهاب للمدرسة .ولكن الحيلولة بينى وبين الدرس جعلتنى أصمم أن أواصل دراستى بأى ثمن كان

كنت قد بلغت الثامنة عشر وقتئذ فأخذت أفكر فى وضع خطط المستقبل وحين أعارنى الدكتور جراى بعض الكتب الطبية قرأتها باشتياق ومن ثم ابتعت كتبا أخرى دون أن يعلم أخى وأخيرا حدث حادث كان بمثابة تقرير المستقبل . كنت ذات مساء عائدا من السينما بصحبة ناسى فرأينا كلبا كبيرا يندفع أمام سيارة بسرعة فداسته وتركته يتلوى من الالم . هرولنا نحو ذلك الحيوان فوجدنا ان احدى ساقيه قد كسرت وقد برز العظم خلال جلد الساق فقلت لناسى هيا بنا سأجبر ذلك الكسر وبذلك أجد الفرصة لأطبق العمل على ما قرأت وحملنا الكلب إلى المنزل وجئنا بصبغة اليود وبعض الأربطة ومبراة حادة وقد أظهرت ناسى براعة كأنها ممرضة قديرة فاستعنت بها لأرد العظم المكسور إلى مكانه وأربط الساق حينئذ . واعتنينا بجريحنا هذا الى أن شفى تماما .

منذ تلك اللحظة عزمت أن أكون جراحا

لم يسأل أحد عن الكلب فاحتفظت به عندى وأسميته المتجول Wanderer فصار لى صديقا أمينا

كان كليفورد ومستر رانبورك فى شاغل بفتح مناجم جديدة . وكانا راضيين عن عملى فى وزن الفحم ولكن لم يستطع كليفورد أن يثنينى عن دراسة الطب . كانت ناسى قد بلغت السابعة عشر وصارت من أجمل فتيات البلدة وكان كل شاب يود أن يحظى ولو بابتسامة منها . كنت أعرف عن أخى أنه قليل الاكتراث بالنساء ولكن اتضح لى أخيرا أنه ولعا بناسى ولم يكن بعسير عليه أن ينال شيئا هو راغب فيه . لقد أيقظت تلك الريبة شعوراً كامنا فى نفسى لم أعهده من قبل . لم تتعد علاقتى مع ناسى حد الصداقة ولكن دب القلق فى قلوب والديها لما رأوه من اتصالنا المستمر . وحين علم كليفورد بذلك انفرد بى يوما وقال

اسمع أيها الكسيح . يجب أن تقطع كل علاقة بينك وبين هذه الفتاة . ان والدها رجل شرس الطباع وهو بالطبع لن يرضى أن يكون زوج ابنته شخصا مثلك . وأنا لست ألومه على ذلك اذ على حالك هذا ليس لك عذر فى سيرك مع هذه الفتاة .

كانت كلمات أخى كطعنة فى صميم الفؤاد فخرجت من المنجم على غير عودة وأخذت كلبى « المتجول » وسرنا الى شاطىء النهر وجلست هناك حيث تمتعت بأويقات سعيدة مع ناسى اذ كنا نذهب هناك لصيد السمك . نظر الى الكلب ووضع رأسه على صدرى كأنه يدرى سر تعاستى . سبحت

إذ ذاك فى لجج التفكير وشرد منى اللب اذ كنت موقنا ان اخى على صواب فما كان ينبغى أن أطمع فى حب ناسى وأنا على حالى هذا

آذنت الشمس بالمغيب ولكنى بقيت مكانى الى أن جاءت « بولى » العجوز وقالت « عجبا أيها السيد فرنون . بحق السماء يجب أن ترجع وتتناول ولو يسيراً من الطعام وستشعر أنك أحسن حالا !

تبعتها الى أن وصلت المطبخ فجلست هناك وأكلت وبعد ذلك ذهبت توا لغرفتى اذ لم أكن أود أن أرى وجه كايفورد. كنت على يقين أن ناسى ستذهب باحثة عنى بجوار النهر ولكن انى لى أن اراها ؟ لست بمستطيع ذلك قبل ان اجمع شجاعتى لاخبرها ان عرى محبتنا قد انفصمت

مرت الايام سراعا كنت فى خلالها اخرج بكلبى الى تل يطل على النهر حيث الاشجار الوارفة ولا اعود سوى لتناول عشائى فى المطبخ . لله درك ايتها العجوز بولى لقد وقفت على سر عذابى اكثر مما كنت اظن ! تحدثت معى عن كل شىء ولكن لم تذكر اى شىء عن اخى او عن ارجلى الخشبية .وقدرجتنى فى صيغة الامر ان اذهب الى الكلية لادرس الطب وما اطيب قلبها حين قدمت لى بعض النقود التى كانت قد اقتصدتها لاستعين بها فى ضيقتى

وقد كانت تأتى الى فى بعض الاحيان حاملة رسائل من ناسى فكنت اضعها فى جيبى دون ان اقرأها خوفا من ان يغلبنى شعورى فأذهب راكضا ابحث عنها ولشهور عديد داومت على تجوالى هذا فلم اخاطب احدا دون ان يخاطبنى احد

ولم يكن لى صديق سوى بولى والكلب وكم من المرات كنت أتوارى فى ركن من الطريق اذا نظرت ناسى مقبلة كى لا ترانى ؟!

وذات يوم رآنى الدكتور جراى سائرا فسار معى وكان يعلم برغبتى فى الألتحاق بكلية الطب فتدرج معى فى الحديث الى ذلك الأمرحتى ثارت ثائرتى وعاودتنى رغبتى الجامحة فى أن أدرس الطب مهما كلفنى ذلك من ثمن . وبذلك لم أجد مناصا من أن أدفن نفسى بين كتب الطب وقد كان الدكتور جراى يتردد على مرتين أو ثلاثا فى الأسبوع وتلك منة ملزلت أذكرها له .

وفى ذات مساء حين نزلت أشيعه الى آخر الدرج سمعت أخى يناديه من داخل الباب الأمامى

فتواريت فى ركن وسمعت أخى يسأل »

« كيف حاله يادكتور » ؟

فأجاب الدكتور « أنه بخير . فقط أنه مريض بحب دراسة الطب »

« ولكن عقله هل تظن أن به بعض الخبل ؟»

« ... لست أعرف تماما . وأظن أن كل العقول ليست فى مستوى واحد »

كن هناك مستر رايبون والد ناسى فجاء جوابه على ذلك « نعم . لاأظن أن هناك أنسانا يأخذ بهالكساح ويصير مقعدآ ثم يبقى عقله على حالته الطبيعية . يجب أن تفعلوا شيئا أزاء ذلك الامر فأن أبنتى ... فقاطعه كليفورد قائلا « نعم . سأنتبه أنا لذلك الامر »

أما أنا فجريت على الدرج . لقد ثارت كوامن نفسى حين سمعت أسم ناسى وخررت ساجدا أصلى « ياالله . ألا يمكنهم أن ينسوا أنى كسيح مقعد ؟ »

هدأت نفسى وأخذت ابحث فى زوايا عقلى . هل أنا حقا مخبول ؟ ولماذا ينتابنى ألم فى قلبى كلما سمعت ناسى ؟ هل يقف فى طريق أخ قاس ؟» كنت أود أن أنسى كل ذلك وأنام نوما عميقا ولكن إذا بى أرى أخى داخلا غرفتى لأول مرة منذ تشاجرنا .

« فرنون . أنى على ما أرى لك ميل لدراسة الطب » قال ذلك بجمود

فقلت « نعم أنى أعرف أنك ترى ذلك »

« لم أكن أظن قط أنك جاد فيا تقول ولكن بما أنك ترفض العمل فى المنجم فالأحسن أن تعمل شيئا نافعا »

سألته

« أحقا ماتقول ؟ وهل فى أمكانى أن أذهب؟» فأجابنى أنه سيدبر الأمر

لم أكن أدرى لماذا انقلب هكذا رحبا بعد أن كان فظا قاسيا

أخذت أعد العدة للرحيل إذ لم يكن باقيا على افتتاح الكليـة سوى أيام قلائل وفى عصر اليوم التالى جاءتنى بول وأخبرتنى أن ناسى حضرت وقد أصرت أن لاتذهب دون أن ترانى . وبتردد عظيم نزلت الى قاعة الأستقبال فوجدت ناسى واقفة فى الباب وحين رأتنى صاحت قائلة والدموع فى مآقيها

«فرنون سوف تأخذني أمي ألى فرنسا وسنمكث هناك عامين»

« ماذاتقولين ؟» سألتها بلهفة

« آه يافرنون . نعملمدة سنتين . والدي يصر أن التحق بأحدى المدارس هناك»

«ها . نعم . والدك يفعل هذا »أجبتها وأنا أتأوه إذ تكشفت لي الحقيقة عن مغزى التغير الذي ظهر من أخي . أنه لم يكن راغبا في أن أسير في الطريق الذي رسمته لنفسي ولكن كان يود أن يبعدني من طريقه بينما هو يحاول أن يغتصب مني ناسي . ربما كان ذلك خيرا لها ولكني سأريه من أين تؤكل الكتف . سأعمل كي أكون كفؤا لها .

والنيران تلتهب في قلبي قلت لها « أن عامين ليسا بالشيء الكثير إذ أني ذاهب أناأيضا للكلية»

فأجابت « هل حقا ما تقول ؟ أني جد مسرورة أن أسمع ذلك ولكن خبرني يافرنون . لماذا هجرتني . لماذا لم تكتب لي ردآ على خطاباتي ؟»

ترى بماذا أجيب . هل أقول أني لم أقرأ خطاباتها ؟ أو هل أخبرها بما جرى بيني وبين أخي

« آه نعم ياعزيزي . أني أفهم كل شيء . ولكن مهما حاولوا فلن يفرقوا شملنا»

«سأكتب لك كل يوم وسأنتظر. ستكون يوما ماطبيباعظيما . أني واثقة من ذلك» قالت ذلك ودموعها تجري سخينة . ثم زايلت الغرفة

وفي الصباح الباكر أخذ كليفورد ناسي ووالدتها في سيارته الى شارلتجتون وكان ذلك ماجعل دمي يغلي ولكن كان هناك شعور قوي عندي أنهم لن يستطيعوا أن يفصلوا أحدنا من الآخر

أنما ما اكثر الحيل التي تجوز على أنسان ذي نية سليمة لا يسيء الظن بأحد. ومرت اسابيع قبل افتتاح الكلية ولم يصلني خطاب من ناسي فقلت في نفسي أنها ربما نسيتني في حياة جديدة في فرنسا ولكن لم أكن لأنساها . وحين التحقت بالكلية . أستأجرت مكانا في حي منعزل ولم يكن لي من صديق سوى كلبي المتجول . وقد أعتنى بي أساتذتي ولكن كانت الطلبة تعرض عني وأخيرا تبين لي أن كليفورد كان قد أرسل خطابا يخبرهم فيه أن بي مسا من الجنون . وربما لو كان ذلك مع شخص آخر لثار وأرعد سيما ولو بأداه زملاؤه «بالكسيح» أو «ذو الأرجل الخشبية » . ولكني وجدت أن

خير ما أعوض به هذا أن أجتهد . وحقا أجتهدت. وبعد شهور قلائل كنت أول زملائى فى كل الفصول

من عجب الحياة أن تعاودنا الذكريات الحسنة لتزيدنا عذابا . لقد أصبح كل تفكيرى منحصر فى ما فعلته معى نامى . فى كل ما كلمتنى به . ولكن لذلك الوقت لم يصلنى منها كلمة أيضا . وفى وقت ثورة من ثورات القلب الحزين كتبت لها خطابا أرتد لى فى اليوم الثالث . ولكن من تلك الضيقة وجدت مخرجا جيدا فاغرقت نفسى فى كتبى حتى أستطيع أن أرمى مابقى من حطام قلبى فأعيش بدون قلب وفى نهاية الفصل رجعت للمنزل بعقل ملىء و نفس مليئة بالتعاسة. وهناك أخبرتنى بولى أن أخى قد سافر للقارة

يا إلهى ؟ هل ما أخاف منه يوشك أن يتحقق ؟ بفتور عظيم قضيت عطلة الصيف وكان الدكتور جراى يتردد على وقد زاده سروراً ماعرفه من نجاحى وقد ساعدنى كثيرا فى بعض الدروس فحفزنى ذلك على أن أداوم البحث والأستذكار فظهرت نتيجة مجهودى عند رجوعى للكليه وأزداد أعجاب مدرسى وتقديرهم لى .

دعانى أحد الأصدقاء ذات مساء الى حفلة أقسمت بعدها أن لا أذهب مكان إذ وسط الحديث أشار أحد الناس الى أرجلى الخشبية. وفى الحقيقة ما أقوى غريزة حب الاستطلاع عند الناس عن اولئك الكسحاء. فأن أول سؤال يسألونك أياه بعد مقدمة بسيطة هو « وكيف آذيت نفسك وجرحت رجليك ؟ » وأى أنسان ربما لايهتم لهذا السؤال مطلقا ولكن لم أكن أنا كذلك وأن كنت حاولت جهدى لأتغلب على ذلك الأضطراب الذى كان يعترينى وقد اولانى احد الأساتذة وأسمه بلدوين عطفا عظيما وقد كان فى شخصيته جاذبية تجبب الناس اليه فكنت أنسى تعاستى وأنا معه .وقد طلب منى أن أعطى لأبنه دروساً خصوصية فى اللغة الأنجليزية وأزاء ذلك كان يساعدنى فى دراستى ومن كرم أخلاقه جعلنى أقضى معه عطلة الصيف التالية فوجدت فى وجودى معه ما كان ينقصنى من عطف الصديق وكانت ترد الى كل شهر أخبار سارة من المحامى عن أحوال المنجم فشعرت أن بشير الخير قد بدأ يرفرف على مستقبلى

عدت الى البلدة بعد غياب ثلاث سنوات وهناك أستطعت أن أرى الناس وجها لوجه وأكلمهم دون حياء. ولاوجل وكان كليفورد قد أمرنى أن اذهب لأزن الفحم ففعلت دون تذمر

كان كليفورد فى المنجم كحاكم مطلق التصرف فلم يكن المستر رانبورن يبدى أى اعتراض على شىء يعمله اما الموظفون القدماء فقد رحلوا :

كان كليفورد يأمر وينهى ويتصل شخصيا بكبراء التجار وأصحاب المصانع وكأنى به قد حقق حلمه القديم إذ كان دائما يفاخر بأنه يوما ماسيحكم بلدة كليفورد بيد من حديد . كان يدفع لى مرتبا كأى أنسان غريب وقد أقصانى عن كل عمل رئيس فى الشركة . فى ذلك الحين كنت قد بلغت السن التى تخولنى حق الارث ولكن كان المحامى يعاملنى كطفل فلم يرض أن يقدم لى أى الاوراق أو أى أستهلامات ىلذلك بت فى شاغل أن لا أجد مصروفات الكلية

وقبل افتتاح الكلية عادت ناسى ووالدتها فرأيتها قد نمت وأكتملت أذ أصبحت فى سن العشرين

ومن الغريب أنا عدنا لصداقتنا القديمة كا لم نكن قد أفترقنا ولو ليوم واحد ولكن كانت عينا كليفورد ترقبا ذلك بأهتمام فارسلنى للمدرسة قبل أن يحين الموعد

كنت قد أدخرت كل النقود التى تناولتها كمرتب من كليفورد فى أثناء الاجازة وعلى ذلك أتخذت مسكنا فى حى ارقى من الذى كنت فى مسيس الحاجة اليها ولكن للدهشة كانت المصروفات المدرسية التى أرسلها كليفورد هى نصف ماتعود أن يرسل فلما كتبت اليه رد على قائلا أن الاراضى الزراعية لم تكن على مايرام وقد كنت فى صغرى انظر الى أخى كبطل يستحق الاجلال. ولكن أصبحت أنظر اليه بعد ذلك الحادث كلص . وكان يجب أن أدرك ذلك حينا كنت أراه يزن الفحم لعملائه

لم أجد مفراً من أن تمتد يدى الى ماوفرته لأكمل دراستى إذ كنت قد قطعت شوطا بعيدا فى دراستى فلم أنفق شيئا فى غير ضرورة

ولكن .. رجعت ذات مساء الى غرفتى وتناولت أحدى الجرائد المحلية فوجدت أن السهم قد نفذ إذ قرأت «خبر خطبة ناسى رانبورن الى كليفورد ستزول أعظم أغنياء بلدة كليفورد »

من تلك اللحظة خفق قلبى بشعور جديد . برغبة صادقة أن أكرس نفسى لخدمة البشر . ناسيا الماضى وهذه هى الوسيلة الوحيدة التى تجعل الانسان ينسى شعور الالم الذى يحيط به

وقد كان ما أذاقنى من أذى فى رجلى هو ما جعلنى أقرر أى فرع من الطب أتخصص فيه . يجب أن أصبح جراحا لاخفف آلام أولئك الذين يذوبون من فرط الالم . كنت على علم بما ينطوى عليه

قراري هذا من مصاعب جمة . ولكن حقا قد أثارت تلك الصعوبات لى الطريق ولم أستطيع أن أذهب للمنزل فى العطلة الصيفية إذ عرفت أن لن أتحمل رؤية أخى ولا رؤية وجه ناسى عالما أنها ستكون فى القريب زوجة لذلك الاخ البغيض

وبمساعدة الاستاذ بلدوين حصلت على عمل فى أحد المستشفيات . وكانت مهمتى أن أستقبل المرضى فأتاح ذلك لى بعض الفرص لاعرف علل المرض الداخليه . ومن مرتبي من المستشفى حصلت على نقود تكفى مصاريف لسنة دراسية أخرى

فى أحدى الليالى قبل أنتهاء دورتى دخل على أخى كليفورد فى غضب وصاح ثائرا «أين هى ؟ ماذا فعلت معها ؟!

عجبت لذلك أشد العجب ولكن لو كنت وجدت متسعا من الوقت وقرأت جرائد المساء لعرفت أن ناسى قد أختفت

أجبته بيرود عما تتكلم ؟

فأجابنى . «انك تعرف عما أتكلم وتعرف أين هى . لقد قالت أنها تحبك وسوف لا تتزوج منى» آه لقد تركته ناسى من أجلى . نعم سأفوز بها وأجعلها سعيدة . وذلك أكثر مما كنت أطمع فيه قلت « ولكن على ما أظن يا كليفورد ان ناسى لا بد أن تجهل انك أعظم أغنياء بلدة كليفورد؟.» قلت ذلك بلهجة ساخرة كى أزيد عبء حزنه وحينئذ صاح غاضبا « أنت . اجل . سوف « تدفع ثمن هذا كله . سأريك وأريها أيضا ان اية امرأة فى الوجود لن تستطيع أن تجعل منى أضحوكة»

صرخت فى وجهه« لا تقل ذلك عن ناسى» فتراجع نحو الباب وتركنى وانصرف

جلست بقلب يخفق بالسعادة وان كنت لم أدر ماهيتها أو من أين أتت . ولكن . لقد قال كليفورد ان ناسى تحبنى . هذا يكفى . ذلك ما كنت أوده . سأجدها وأحتفظ بها لنفسى . لقد خاف كليفورد منى وأصبح يخشى غضبي . فهو لن يعود لاهانتى مرة أخرى

وفكرت أن أقوم فى الحال باحثا عنها لربما أجدها ولكن هل يا ترى كانت تسير وحدها فى الشارع

انتهت المحاضرات ولما ذهبت الى عملى وجدت خطابا من بولى ..

ها قد عادت تعاستى . لقد أخبرتنى بولى ان ناسى تزوجت من كليفورد وكان فى الخطاب ملحوظة جاء فيها انها قبل الاكليل كانت دائما تصيح «اين هو ليأتى لنجدتى ؟»

لقد كان خطابا وجيزا ولكن معناه جعلنى اشعر بدوار وتجسمت امامى تعاسة الحياة . ولكن رغبتى فى خدمة الانسانية تجعلنى أرغب عن الموت

لم يرسل الى كليفورد النقود التى وعد بها ولما كتبت له عن ذلك جاءنى منه الرد التالى

«عزيزى فرنون

«لقد ساءت حال المناجم وان كنت انا ومستر راثبورن قد استطعنا انقاذ الموقف بمالنا الخاص . كان حسنا منك ان تشتغل تلك الشهور القلائل ولكن هل تظن انى سأجعل حياتى ومالى وقفا عليك بينما انت تلعب فى المدرسة ؟ أظنك تأمل انك تصبح طبيبا ولكن دعنى اخبرك انك سوف لا تكون حتى طبيبا للخيول . لقد ضاعت المناجم ولم تعد تساوى بنسا واحدا وقد كان المنزل فى حاجة لبعض الترميم فأضطررت ان استدين .

«ما زالت وظيفتك فى انتظارك حينما ترضى أن تذهب لعمل ما »

قرأت ذلك وقلت فى نفسى . نعم يا كليفورد . هكذا تحقق وعدك الذى قطعته لامك .

بشعور ملؤه السأم قذفت بالخطاب الى الارض وذهبت الى المحامى أسأله عن الامر فقال ان كليفورد قد اقصاه عن تلك الشئون بل انه أيضا قد وضع أموال مستر راثبورن تحت تصرفه

لم يكن عندى ما يكفى اتعاب المحاماة إذا قاضيت أخى . ولم يكن عندى كذلك ما يكفى للمدة الباقية من سنى الدراسة فعزمت ان ادرس مقرر سنتين فى سنة واحدة وساءت حالتى المالية فأنتقلت الى شقة رخيصة وصرت اهيء الطعام بيدى

وقد تعطف على أحد القصابين فكان يبيعنى عظما رخيصا كنت أستخدمه فى عمل الحساء ثم أرميه بعد ذلك ليأكله الكلب وبتلك الطريقة استطعنا أن نحيا أنا وذلك الحيوان البائس . وكأنى به قد أدرك ما نحن فيه من شقاء فبالرغم من هذا له وقلة غذائه كان يبدو أمامى مسرورا يهز ذيله فى فرح أما أنا فقد بلغ بى الاعياء مبلغا عظيما .

أتى الشتاء فعاودنى ألم رجلى بشكل فظيع وحين رآنى الطبيب قرر أن تجرى لى عملية أخرى ولكن ماذا أعمل بالكلب ؟ ليس هناك من يعوله . وأخيرا اشتراه منى أحد الاصدقاء بجنيه واحد وما أمر تفكيرى كلما ذكرت ذلك الكلب الأمين . وهل آمل فى نجاح بعد فقدان ذلك الصديق الأمين ؟

وكم من المرات كتبت ادارة المستشفى لاخى ولكن لم يلب النداء . وبعد أن تعافيت وتركت الفراش عدت للعمل فى المستشفى واستطعت ان اسدد حساب المستشفى وأقتصد القليل

وساقنى الحظ لوظيفة جديدة فى فندق عظيم . كانت مهمتى ترتيب الكتب والمجلات فى المساء إزاء سكنى فى غرفة بالفندق وامدادى بالطعام.فى الشتاء كنت أشتغل فى الفندق وأواظب على المحاضرات وفى الصيف كنت أعمل فى المستشفى وبذلك تمكنت أخيرا أن أتمم الدراسة واخيرا ايضا عينت جراحا فى المستشفى الذى كنت فيه كاتبا بسيطا .ولم أكن اكتب للمنزل وكذلك لم يرسلوا هم لى خطابا واحدا

ساق القدر فى طريق طبيبا شهيرا فى الجراحة اسمه الدكتور كلارك وكان دائما يرغب فى أن اكون انا معه لمساعدته وحين عاودنى الم رجلى مرة أخرى عزم الدكتور كلارك أن يجرى لى العملية وحقا جاءت خطوة موفقة . ناجحة فلم يعاودنى ألم رجلى مرة أخرى ولكن بعد قليل طلب الدكتور كلارك أن يغادر المستشفى ليكون له عيادة خاصة . وكان حقا كريما إذ أوحى الى ولاة الامور كى آخذ وظيفته وعلى ذلك أصبحت طبيباً فى قسم الجراحة فكنت اواصل ليلى بنهارى فى عمل مضنى

ها قد بدأ الحظ يقف فى جانبى إذ كل العمليات التى قمت بها نالت نجاحا تاما وبذلك أصبحت ذا مكانة ممتازة عند الاطباء الآخرين فكانوا يتحدثون دائما عن مستقبل واسع الامال سيكون أمامى

وفى نهاية العام طلب الدكتور كلارك أن أصير شريكا له فى عيادته فذاعت شهرتى وخصوصا فى عمليات الرأس والمخ وكان كثير من الاطباء يحضرون لاستشارتى فى حالات مختلفة

مرت السنون . وها قد وصلت الى غايتى التى اعيتنى الايام الحصول عليها ولكن . لكن كل ذلك لم ينسينى ناسى الا لدرجة محدودة . كما لم أنس معاملة أخى القاسية لى . وقد قرأت انه مرشح لمجلس النواب عن بلدة كايفورد التى أصبحت الآن من البلدان المعدودات.

لقد أثار فى ذلك فى بعض الحسد كما حركت كوامن شعورى نحو ناسى وكنت أتوق أن أعرف هل هى حقا سعيدة ؟

لقد ظننت انه بعد أن ذاع نبأ شهرتى أن كليفورد لابد عارف عنى ما يجب ولكن كانت الانباء الواردة تدل على النقيض الى أن وصلتنى برقية ذات يوم يدعونى فيها كليفورد للحضور بأقصى سرعة إذ كان فى درجة عظيمة من خطر عظيم محدق به

هكذا تغيرت الظروف وأصبح العظيم الغنى يستجدى الضعيف المعدم. فبأول قطار سافرت حيث وجدته يقطع غرفته جيئة وذهابا ساخطا صاخبا . يسب ويلعن بينما سارت ناسى بجانبه فى جمال رائع تحاول تهدئته وما أن رآنى حتى صاح « هيا يافرنون . بربك عجل وأوقف ذلك الالم فى رأسى حتى لا أجن »

ولم يكن داع لافحص إذ عرفت العلة من أول نظرة ألقيتها عليه .

كان أخى مريضا . ولكن كان بالرغم من ذلك كليفورد الذى عرفته . كان فى مسيس الحاجة الى معونتى ولكن كان كمن يحسن الى . نظرت الى ناسى واذا بها هى كعهدى بها . هادئة مستقرة ون كانت قد أخفقت فى التغلب على عواطفها ولئن كان موقف أخى أزاءى قد أخمد حبى لها إلا أنه قد زاد أشتعالا فى تلك اللحظة وبجهد عظيم قاومت نفسى كى لا أجرى نحوها وآخذها بين ذراعى . فطلبت اليها أن تعاوننى لنحمل كليفورد الى الفراش . وكذلك ساعدتنى فى خلع ملابسه ثم أعطيته منوما جعله يهدأ أما ناسى فلم تتكلم سوى بكلمات قليلة قائلة « هل الامر جد خطير ؟ » فأجبتها أنى لست متأكدا بينما كنت آمل حقا أن يكون الامر أكثر من درجة الخطر . وعجيب أن يتملك شعور كهذا على قلبين لاخوين شقيقين . كم كنت أود أن أبتسم حين أرى قلبه قد وقفت حركة

زايلنا الغرفة بعد أن وضعنا غطاء على جسم كليفورد وهو نائم وبغتة وضعت ناسى يدها على كتفى وقالت « أنى فخورة جدا بنجاحك يافرنون وسمعت عنك الكثير وكنت دائما على يقين أنك ستصبح طبيبا عظيما » نظرت اليها دهشا بينما سرت فى جسمى رعدة لم أدرى ماهى . كان لتصرفها هذا أثر وأى أثر فى نفسى . كان لتصرفها هذا قيمة فاقت قيمة أنتصارى .

وفجأة أيضا جالت بخاطرى أفكار مشتتة . كانت الاف الشياطين تهمس فى اذنى « أنها الان لك »

لقد أغتصبها منك وهاقد جاء دورك للانتقام. الانتقام لكل ماسببه لك من تعاسة الحياة ونكدالعيش» أغمضت عيني وراجعت نفسي «كلا. لن أفعل. نعم بحركة بسيطة يمكنني أن أقضي عليه وأقصيه عن الطريق - ومازلت أحمل لناسي حبا كنت ومازلت أرزح تحت عبء حمله. ولكن ... كلا. كلا ان ذلك سيفقدني منزلتي عند نفسي »

وبحركة آلية جذبت التليفون وتحدثت الى الدكتور كلارك ليأتي على جناح السرعة ثم وضعت السماعة وجلست بجانب ناسي نتحدث عن أيام الطفولة وبقينا هكذا الى أن جاء الدكتور كلارك. وحين رآني جالسا ثم رأى أخي رماني بنظرة قاسية ولامني انى لم أبادر الى اسعافه ثم أمر أن ينقل كليفورد فى الحال إلى المستشفى وقد ذهب معه هو أما أنا وناسي فقد ذهبنا فى سيارة خاصة وحينما وصلنا وجدنا كليفورد موضوعا على المشرحة بعد أن كشف عليه بالاشعة وحالما رآني الدكتور كلارك صاح « هيا يا فرنون. اذا أسرعنا فسوف ننتصر وننجح »

سرت فى جسمي رعدة خفيفة وعادت تلك الشياطين تهمس « بحركة بسيطة ويمكنك اقصاءه عن الطريق. أنه عدوك. انه الشخص الذي يحول بينك وبين المرأة التى تحبها. هيا. سوف تكون ناسي لك »

فصحت فى وجه كلارك قائلا « كلا. لا يمكنني القيام بهذه العملية » فنظر الى كلارك فاتحا فاه كأنه حسبني مخبولا وصاح غاضبا « ما هذا الذى لا يمكنك. يجب ان تعمل العملية حتى وان كانت لاخيك. ما هذا؟ انى انا لا اجرؤ ان اتقدم لعملية كهذه بينما انت قد قمت بالكثير مثلها » ثم تركني بعد ان امرني ان اكون مستعدا فى مدى ساعة.

كان كل جسمي يرتجف فجلست على مقعد بجانب الباب متسائلا

«هل ساق القدر تلك العملية لاربح بها كل شيء: ام لاقضي على كل شيء ام هي وسيلة دبرها القدر للانتقام» وشعرت اذ ذاك بيد دافئة توضع على كتفي واذا بها ناسي تقول «انك سوف لا تخفق فى هذا يا فرنون. دكتور كلارك يثق تماما بمقدرتك وانا ايضاً كذلك »

وبشعور منقسم بين الواجب وذلك الصراخ الداوي فى اذني للانتقام دفعت تلك اليد بعيدا عني وقمت متثاقلا كأنى ارجلي الخشبية قد اضحت اضعاف ثقلها منذ الدقائق التي جلستها وقلت لناسي

كلا . لن اسيء اليك يا ناسي »

طلبت من الممرضة ان تقودني لغرفة هادئة حيث نمت ما يقرب من نصف ساعة قمت بعدها فزعا على اثر حلم رأيته . وبعد أن ازدردت قليلا من القهوة دخل على الدكتور كلارك وقال « هيا ايها الرجل . ستجنى الكثير من وراء تلك العملية ولكن سألته منهكا (ولكن اذا فشلت !؟)

ففغر فاه في دهشة وقال « اذا فشلت !؟ لقد قمت بالكثير في حالات اسوأ واخطر من ذلك . كما انه لا خطر هناك اذا بادرنا بالعمل »

كان كلارك يقول ذلك بلهجة التأكيد . غير عالم بما يتنازع قلبي من كره لاخي وحب لناسي ثم حثني على الاسراع وساعدني على ارتداء ملابسي وقادني لغرفة العمليات حيث لبسنا القفازات الجلدية وهناك .. بدأت اشعر برأسي يدور . وبين الوجوه الكثيرة المقنعة بقناعات الكلوروفرم لم استطع ان اتبين سوى وجه كلارك ولشد ما ارتعبت حين وقع بصري على وجه اخي كليفورد

اعطتني الممرضة الآلات الجراحية وحينئذ اشرأبت نحوي اعناق الطلبة الذين حضروا ليشاهدوا العملية وزادت رهبة الموقف ذلك الصوت الذي يشبه فحيح الافاعي صادرا من الآلات الكهربائية واخيرا تمكنت من فتح غطاء الجمجمة

كانت يداي المدربتان تعملان بأتقان . ولكن حين نظرت الى مخ أخي تذكرت كم عانيت من قسوة صاحبه . تذكرت كم جر علي من مصائب بأن عودني القفز من السيارات تذكرت أنه كان السبب في قطع رجلي وتذكرت أكثر الكل أنه قد أخذ مني ناسي ولكن . . عفواً بحركة واحدة سأقضي على ذلك وأفسح لنفسي الطريق .

عادت تلك الشياطين تهمس « أقتله . . أنتقم . قد حان وقت الانتقام لقد أغتصب منك اعز من اعزتهم في الحياة . »

أهتزت يداي وزاد أضطراب قلبي . وسال العرق على جبهتي ووجهي فمدت أحدى الممرضات يدها ومسحت جبيني قائلة « أأنت على ما يرام باحضرة الطبيب» وأذا كان أنسان في البشر عقله يفكر في شيء بينما يداه تعملان شيء آخر فذلك كنته انا . فبينما حب الانتقام متسلط على عقلي وقلبي يحاول أن يميل بالمبضع في يدي للهلاك كانت يداي التي تدربت وتعودت انقاذ الحياة وليس لاهلاكها تقاوم رغبة الانتقام

ولكن فى ذلك الصراع الهائل وقف امام عينى شيء آخر وهو ان الشخص الراقد امامى لم يعد آخى . ولكنه انسان ذو حياة عهد الى فى انقاذها . فاشتغلت بعزم وقوة وقد خيل الى انه لانهاية هنالك لعملى هذا

وهكذا تمت العملية . وخيطت الجمجة وبجهد عظيم اخرجت نفسى من الغرفة بينما اتى كلارك يساعدنى فى خلع ملابسى وربت على كتفى قائلا « اربع ساعات » .

نعم . اربع ساعات فى جحيم لن يدرك معناه أحد غيرى .

سألت كلارك « كيف تمت العملية ؟ » فأجابنى فرحا « جيدا . حسنا جدا لقد قمت بعمل عظيم حقا » .

ولكن حقا لم اكن أنا الذى قمت بذلك العمل العظيم . انه الفداء لخدمة الانسانية هو الذى سدد خطوتى هذه . وبعد ان ارتديت ملابسى ذهبت حيث يرقد كليفورد فوجدته اصفر الوجه يتنفس بصعوبة وبتأثير البنج بينما جلست ناسى بجواره . تحسست نبضه فوجدته عاديا . وها انذا فى النهاية قد انقذت حياته . بينا اضعت الحب الاول .

تركته بالغرفة بعد ان اوصيت الممرضة ان تستدعينى بالتليفون ان اقتضت الضرورة . وذهبت الى فندق حيث قد انهكنى التعب . ومن هنا اتصلت بكلارك كى يعتنى هو بالمريض غير مبال بما ابداه من دهشه ازاء تصرفى هذا اذ لم اكن استطيع ان ارى كليفورد وناسى فى حالتى هذه التى لولا عناية آلهية لكنت الآن فى عداد المجرمين . ومن ثم عدت الى كارلنجتون وقمت بعملى وعمل كلارك على السواء

وقد وردت الى عدة رسائل من ناسى تخبرنى فيها ان كليفورد راغب فى ان يرانى فتجاهلت الامر الى ان وصلتنى رسالة بخط كليفورد نفسه يدعونى فيها للحضور فذهبت ولعجبى وجدت ان اخى قد اصبح شخصا آخر . كان صوته واضحا بينما نعرف كلنا ان عمليات المخ تغير الصوت . وكذلك فارقته خشونته واصبح رقيق الطباع كأنه الحمل الوديع . وحينما استأذنت فى الذهاب طلب منى ان اوصل ناسى للمنزل وقد ادهشنى ذلك حقا . ولكنى اطعت واخذتها وذهبت بها حيث اريتها غرفة الكشف فى عيادتى فأبدت سرورا واندهاشا ولقد راعنى منها انها لم تكن تلك الفتاة الريفية

الساذجة التى كنت اعرفها ولكنها اصبحت امرأة مهذبة . ا كسبتها اسفارها الكثيرة خبرة عظيمة لم تكن لديها حينما غادرت بلدة كليفورد .

ثم زعمت أن هناك ضرورة تضطرنى الى التخلف عنها فأرسلتها للمنزل بمفردها .

مر شهر على ذلك الحادث فذهبت بسيارة لآخذ كليفورد الى المنزل وعجبت أذ رأيت المنزل قد جدد بناؤه وأصبح من الطراز الحديث وحينما دخلت مع كليفورد الى غرفة الاستقبال هتف كليفورد قائلا «فرنون . يجب ان تقاسمنا العيش هنا . نعم يجب»

كانت كلماته المفاجئة عاملا جعل قلبي يثور ولكنى اخذت بيده واجلسته على مقعد مريح وبينما هممت بالذهاب . عازما ان لا اعود الى ذلك المكان ابدا . إذ به ينادى زوجته ويجعلها تجلس بجوارى ثم اخذ يدى ويدها وو ضعهما احداهما فوق الاخرى . شعرت بيد نامى تضغطها يدى بشدة بينما كنت انا شارد الفكر ازاء ذلك . لم استطع حراكا كما لم انبس ببنت شفه

وبعد السكون صوت كليفورد قائلا

«كلا كما اصبح ملكا للآخر. بل قد كنتما كذلك دائما»

غمغمت بكلمات متقطعه وقلت

«و... ولكنها ... زوجتك انت»

«كلا يافرنون بالاسم فقط . ؟لم تكن قط زوجتى . ولن تكون ابدا

«كنت اعرف ذلك من زمن بعيد. انها امينة لماضيها بينما انا مذ شيدت صرحى على انقاض الآخرين نعم . كلاكما ابن لماضيه» ثم اردف بعد سكوت قصير «سوف تحصل نامى على وثيقة طلاق ولن اقف فى طريقها . فأذهبا . وتمتعا إذ لكما اسباب الحياة وامامكما حياة الشباب»

هل يكذبنى القارىء إذا قلت انى لم اصدق اذنى . بينما انا اتطلع فى وجه كليفورد وشعره الاشيب فأتذكر وجه والدى ؟

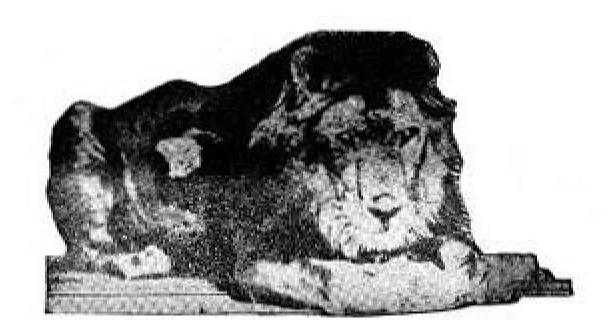
ولكن .. لقد كان ثمنا باهظا ذلك الذى دفعه كليفورد .

ولكن .. كانت نامى ايضـــا تقـــدر ذلك الثمن فلم تتركه الا بعد ان شفى تماما ثم سافرت وطلبت الطلاق فصرح لها به.

ولعجبي ايضا .. تنازل كليفورد عن ممتلكات عديدة لنا كما انه اعطاني مايخصني في ميراث ابي.
وها انذا قد حققت امنية طالما حلمت بها . فقد شيدت مستشفى للاطفال الفقراء . وهذه حكمة الله ان يستخدم الانسان بوسائل عديدة لاغراض شتى . لان حياة الطفولة البائسة التعسة التي عشتها جعلتني ادرك لاكبر حد تعاسة اولئك المساكين . وحقا . لم اكن اعرف ذلك دون ان تمر بي حوادث طفولتي

وربما يسعد الحظ احد قرائي فيذهب ويرى ذلك المستشفى . ترى ماذا يرى ؟ يرى غرفا وحجرات كلها عدد وآلات . ولكن يرى بجانبها طبيبا بدينا . يروح ويغدو كالبطة وعلى عينيه يلبس النظارات السميكة يحوطه مساعدوه وان كانوا قلائل إذا ان عصر الآلات قد جردهم من بعض القوى الجسدية وان كان قد اثار عقولهم وجعلها دائما يقظة تلبي النداء .

وبينما انا جالس امام مكتبي ادون قصتي هذه . ناظرا الصورتي وانا على حجراني وعمري اذ ذاك سنتان . فأني اتساءل عن حال كليفورد هل هو سعيد في مناجمه ؟ كذلك ارفع قلبي الى خالق شاكرا ان لم تمتد يدي بأذى لاخي وكنت حرمت الجزاء الحسن . وايضا ارفع قلبي لخالق فخوراً واقول «لقد جاهدت الجهاد الحسن I have fought the good fight »



مختارات من أقوال الزعيم

احتفلت جميع الاحزاب السياسية في الشهر الماضي بمرور احدى عشرة سنة على وفاة الزعيم الخالد سعد زغلول. وهنا مختارات قليلة من أقواله

لا أثر عندنا مطلقا لاختلاف الاديان . فمن يوم أن ظهر فجر النهضة الوطنية رأينا فى أفق مصر الصليب يعانق الهلال ، ورأينا هذا التعانق رمزا للسلام والاخاء. ليس رمزا للسلام والاخاء بين القبطى والمسلم فقط ، بل بين المسلم وغيره ممن يدين بديانة أخرى ، سواء أكان فى مصر ، أم خارج مصر : وطنيا كان أم أجنبيا

الامة ليست الا قسما من الانسانية ذا تاريخ واحد ، ذا تقاليد واحدة ، وذا عوائد واحدة ، يتكلم بلغة واحدة ، وينبض بشعور واحد ، وتجيش فى صدره آمال واحدة. تلك هى -- الامة -- والامال التى تجيش فى صدر الامة الآن . هى « الاستقلال التام »

ليس فى الامة طبقات يمتاز بعضها عن بعض ، بل كلها طبقة واحدة ، ليس فيها فلاح ولا باشا وليس فينا طبقة تسمى طبقة الفلاحين ، بل كلنا طبقة واحدة . وليس هناك طبقة ممتازة عن الاخرى فانى أنا واخوانى وكثير من أقاربى فلاحون وأغلبهم من أصحاب الجلاليب الزرقاء

لاينبغى للمحامى أن يؤجر زمته لموكله وان يقف من القاضى موقف العامل على اخفاء الحق واظهار الباطل ، بل يجب عليه أن يقف منه موقف الباحث عن الحقيقة ، المنير طريق العدالة ، وأن يكون حريصا على اكتساب ثقة القاضى لان هذه الثقة هى أساس نجاحه فى عمله فليكن المحامى مثالا للصدق ، ووفاء الذمة ، ينفع فنه . ويرفع شأن بلاده

نحن قوم مسالمون لا مشاغبون . فاذا اشتددنا نشتد لان الحق يطلب منا ذلك ، واذا سلمنا نسلم تسليم الاحرار لاتسليم العبيد

الارادة متى تمكنت من النفوس واصبحت ميراثا يتوارثه الابناء عن الآباء ، ذللت كل صعب وعلت كل صعوبة وقهرت كل مانع مهما كان قويا ووصلت عاجلا او آجلا الى الغاية المطلوبة

انا اذا احترمنا للحكومة امرا ، فاننا نحترمه لانه نافع للامة ، لا لانه صادر من تلك القوة المسيطرة

انى اقبل ان احاكم امام قاض صغير من قضاة المحاكم الجزئية فى شرف وعرضى ومالى ، خير لى من ان احاكم امام ذلك المجلس الكبير ، مجلس « النظار » فى اهون الاشياء واصغرها . لان اعضاءه وان كانو بصفتهم الشخصية رجالا سياسيون . واخشى ان تتغلب عليهم صفة السياسة على صفة العدالة

ان من أحب الاشياء الينا ان يكون الناس أحرارا فى ابداء شعورهم نحونا ، فلايتدخل المديرون والمحافظون فى ايفاد وفود الينا لان أصدق المظاهر ما كان بدافع الوجدان لا بوحى من الحكام

نحب الحرية ولكننا نحب اكثر منها ان تستعمل فى موضعها

خطتى مع الحكومة تأييدها اذا اصابت والتفاهم معها اذا اخطأت . ومع الامة البحث عن عن حاجاتها وتعرف رغباتها ومشاورة ذوى الرأى فيها . ومع زملائى احترام ارائهم والتضامن معهم فى السعى لكل ما فيه خير عام

يجب ان ننقاد للقانون والا نعتبر الانقياد اليه مهانة ومذلة بل عزا وشرفا ؛

لست بخالق هذه النهضة كما قال بعض خطبائكم ، لا اقول ذلك ولا ادعيه بل لا اتصوره ؛ انما نهضتكم قديمة تبتدىء من عهد مؤسس الاسرة المالكة محمد على وللحركة العرابية فضل كبير فيها . وكذلك للسيد جمال الدين الافغانى واتباعه وتلاميذه اثر عظيم ، وللمرحوم مصطفى كامل باشا فضل غزير فيها ايضا وكذلك للمرحوم محمد فريد بك

نحن قوم مسالمون لامشاغبون فاذ اشتددنا نشتد لان الحق يطلب منا ذلك واذا سلمنا نسلم تسليم الاحرار لا تسليم العبيد

من اراد ان نخضع له وتذعن اليه وتتجرد امامه من قوتنا وشجاعتنا ، فليس بيننا وبين الوصول الى ذلك الا ان يعمل عملا واحد فقط ؛ وهو ان يحترم الحق والقانون

فى ميدان التضحية متسع للجميع

كل تقييد للحرية لا بد ان يكون له مبرر من قواعد الحرية نفسها

يريدون ان يكتموا شعور البلاد لتقول الصحف الانجليزية ان الشعور بالاستقلال خف وضعف كما فعلت هذه الايام ، فهم اشبه برجل فى رمضان يرى النور آتيا من النافذة فيغلقها ويأتى بالطعام فيأكله على انه سحور ، متوهما انه مادام هو فى ظلامه فالشمس غير طالعة والسحور جائز . كذلك هؤلاء يتوهمون انهم ما داموا يحاولون اخفاء الشعور فالشعور غير موجود .

الجبان ليس اهلا بالحرية . فاما ان نكون جبناء فنظل مستعبدين واما ان نكون شجعانا فنصير احرارا بين الامم

نحن لسنا محتاجين لكثير من العلم ولكنا محتاجون لكثير من الاخلاق الفاضلة

اما ان آخذ حقى كاملا واما الا آخذه

ان المحافظة على حقوقنا فى السودان هى فيما يختص بنا مسألة حياة او ممات لان كياننا متوقف على المياه التى تجرى الينا من السودان

نموت ويحيا الوطن

كونوا وطنيين وعلموا ابناءنا الوطنية ، ولا تسمعوا قول الذين يقولون لكم : اشتغلوا بدروسكم فقط ولا تشتغلوا بالوطنية ، بل اجعلوا الوطنية اساس اعمالكم واقبلوا على علومكم لحصلوها ، فاننا محتاجون للعلم والعلماء ، ولكن لا خير فى العالم اذا لم يكن وطنياً : واعلموا اننا ما تقلدنا ذلك المنصب إلا لنقودكم الى الاستقلال التام ، فان وصلنا فتلك غايتنا ، وان كانت الاخرى رجعت اليكم وصرت جنديا معكم

ستصبح هذه المبادىء بعد يوم واحد نافذة المفعول فينا ، ويصبح امر الكل للكل ويشعر كل مصرى ان حياته ، وحريته وشرفه ، وماله ، وولده .. كل ذلك تحت حماية القانون ، وان على القانون حارساً قويا اميناً من البرلمان ، وان البرلمان تحت حراسة امة يقظة ، والكل فى ذمة الله وعنايته

والاصل انه لا حرية بلا نظام ، ولا نظام بلا حرية !! والنظام يتطلب من كل منكم ان ينزل عن جزء يسير من حريته ، حتى تجتمع الحرية كاملة من هذه الاجزاء للهيئة التى قبلتم العمل تحت

لوائها ، والحرية متوافرة من قبل ، فى اختيار الهيئة التى ستتضامنون معها ، واختيار النظام الذى تسيرون عليه ، فلا معنى للقول بأن الحرية تتصدم مع النظام ، ان الحكومة منكم ، وانتم عضد الحكومة ، فيجب أن تكون هيئتكم منظمة ، ليمكن ان يكون سير الحكومة منظما

دعونا من هذا واتركونا نعمل : نحن فى مراكزنا لاندين بها الا للامة ولانخشى الا صوتها فان رأيتم فينا اعوجاجاً فقوموه لا بألسنتكم بل بسيوفكم

عاهدتكم وعاهدت الامة من قبلكم ، واعاهدكم الآن الا احيد مطلقا عن رعاية مصلحة الامة على قدر استطاعتى ، وليس على المرء ان يكلف الا مايستطيعه ، فعليكم مادمتم وطنيين ان تساعدونى لان فى ذلك مساعدة للامة ، ووصولا بها الى الغاية المطلوبة

.. انا ايها السادة لست محتاجا فى سبيل القيام بواجبى ان يأمرنى آمر أو يكلفنى مكلف ، لأنى اشعر من نفسى باحتقار نفسى إذا كنت اقصر فى واجب مفروض على اداؤه ، ولهذا انفر كل النفور من شخص يقول لى بكلمة عجلة « قم بالواجب عليك » وانما ارحب بكل شخص يقول لى : اطلب منك ان تفعل كيت وكيت ، ولكن قوله « قم بواجبك » لا أقبلها مطلقا

وانى بالنيابة عن الشعب المصرى جميعه وفى حضرتكم الموقرة ، اصرح بان الأمة المصرية لاتتنازل عن السودان ماحييت وماعشت ، فهى تسعى للتمسك بحقها ضد كل غاصب ، ضد كل معتد ، تتمسك بهذا الحق فى كل فرصة ، وفى كل زمن ، تسعى بكل طريق مشروع سلكه كل مهضوم الحق لأجل ان تحفظ هذا الحق وتصل الى التمتع به ، وان فى حياتنا لانصل الى ان نتمتع بحقنا ، فاننا نوصى ابناءنا وذريتنا ان يتمسكوا به ، والا يفرطوا فيه قيد شعرة ، وهكذا يوصون هم ابنائهم وابناء ابنائهم ، ولابد ان يأتى يوم يفوز فيه حقنا على باطل غيرنا

ان حقوق الامم لاتضيع ولاتتأثر بمجرد ان يقول الغاصب انى اريد ان اتمتع بها دون اصحابها كلا ! ليست هذه طبيعة الوجود ، بل كل حق يبقى حيا ولا يموت مادام وراءه مطالب . ونحن مادمنا مطالبين بهذا الحق ومادمنا نوصى ابناءنا يقتفون خطواتنا ، فلابد ان نتمتع به نحن او هم ان شاء الله تعالى

نعم ايها السادة ، لايمكننا مطلقا ان نتنازل عن السودان ، لا لأنه مستعمرة ، بل لانه منبع

حياتنا ، بل لانه لايمكن لمصر ان تعيش بدون السودان اصلا

نعم اننا كنا اجبرنا بالقوة والقهر على ان نتنازل عن قسم منه ، فانسحبنا منه كرها بالرغم منا ، ولكننا استمددناه بعد ذلك بالنفيس من اموالنا ، والعزيز من دماء ابنائنا ، وبعد ان استمددناه صرفنا عليه مبالغ طائلة ، ولانزال نصرف عليه ولاتزال قوة منا مؤلفة من عدد عديد من ابنائنا ترابط فيه لحفظه وحمايته فلا يمكن مطلقا ، وهذه حالتنا بالنسبة الى السودان : اموال بذلناها ، دماء سفكناها متاعب تحملناها ، وتحملها من قبلنا آباؤنا ، وحياة نستمدها من ذلك النهر الذى يتدفق من اعالى السودان . لايمكننا بحال من الاحوال الا اذا كنا قوما امواتا لاحياة لنا ، لايمكننا ان نترك ذرة من السودان لغيرنا

الضعف سلاح قوى إذا كان معه الحق ، فنحن ، وان كنا ضعافا ، فان معنا الحق ، والحق تخضع له كل قوة مهما كانت جبارة قاهرة

يقولون اننا نتلاعب بالدستور ! وهم الذين يتلاعبون به ! فكأنهم يتوهمون ان الدستور انما وضع لحماية السبابين الشتامين ! واما الابرياء المهانون ، الذين تنتهك حرماتهم إذا لجأوا الى القضاء كانوا هم المعتدين على الدستور !

ان للامة سلطانا لايعلو عليه سلطان ، وقد كنت اول من اعلن هذا المبدأ ، فلا يمكن اذن ان يخطر ببالى اعلاء سلطة الحكومة فانى عضو فى هذا المجلس قبل ان اكون وزيرا .

يقولون : انا نكرم المبادىء ! قول خطأ ، فان المبادىء لاوجود لها الا فى الاشخاص ، واذا كرمنا انسانا فانا نكرمه لان هذا الانسان نفذ ذلك المبدأ .

لماذا نبكى وننوح على موت الكرام والكرم باق من بعدهم ! ذلك لاننا نكرم الاشخاص الكرام ولامعنى لتكريم المعانى المجردة عن الاشخاص

فاما ان تبيحوا الاجتماعات كيفما كان شكلها ، وإما ان تضعوا لها عقوبة تتناسب مع الذنب ، انا لا احب الشدة ولكن احب ان يوضع الشىء فى موضعه وان تكون لكل جريمة عقوبة مناسبة لها

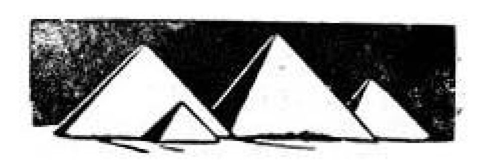
انا اول من يحب الحرية ، حرية الاجتماعات والمظاهرات ، واؤكد لكم واعدكم انه مادامت

الحكومة الحاضرة باقية فانها لاتطبق هذا القانون إلا عند الضرورة القصوى — ولكننا مهددون بأمور كثيرة يجب علينا ان نعد العدة لها ، فان لم نفعل ذلك نندم ولات حين مندم . هذا هو رأيي، وليس عندي مايبعث على هذا القول إلا الحقائق . حسن ان نكون احراراً . ولكن هناك بلاداً سبقتنا فى الحرية وهى مع ذلك قد اضطرت الى اتخاذ الاحتياطات حتى لايساء استعمال الحرية . وجدير بنا ان نقتدى بتلك البلاد الحرة ، و نتخذ الحيطة لما عساه ان يقع من الحوادث المكدرة

انى بصفتى رئيساً للحكومة ، وواجب على ملاحظة اعتبارات كثيرة ، لا أنصحكم بذلك، لاننا محتاجون للعطف العام فى مركزنا الحالى . نحن دولة شابة ويجب علينا ان نتذرع بالحكمة فى سيرنا، وان نظهر للعالم اننا لسنا طائشين ، ولامغرورين ولايدفعنا التمسك بالحق الى التهور وعدم ملاحظة الاعتبارات التى يجب علينا ان نلاحظها

لاتحزنوا اذا مات سعد ، فان مبدأه لايموت انتم من بعدى ، فاستمروا فى تنفيذ برنامجكم الوطنى لاتكتئبوا ، ولاتهتموا الى الامام دائما الى الامام ...

ان الامم لاتعرف اليأس مطلقا ، الامم يجب علينا ان تكون دائما آملة ، ساعية الى تحقيق امانيها وسبيلنا كما قلت اننا نظل متماسكين ، متساعدين ، متضامنين ، وتسير تحت لواء واحد لمصر والسودان



بذور الديكتاتورية في بريطانيا

يتبلور الخلاف السياسى فى نظرية الحكم حتى ينتهى الى فريقين . فريق يقول بالكفاءة العسكرية والاقتصادية وبالمذاهب الوطنية والعنصرية الحادة . وهذا فريق المانيا واليابان وايطاليا وامم اخرى دون فى هذه الاهمية . وفريق يقول بالحرية ولو ادى الايمان بها الى عجز فى الكفاءة العسكرية والاقتصادية مع الاعتدال فى المذهب الوطنى وانكار المذهب العنصرى.


كارليل

ويتألف هذا الفريق من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة مع امم اخرى صغرى .

والفريق الاول يدعى فريق الحكومات الديكتاتورية التى تعتمد على كفاءة الفرد او وطنيته مع اهمال النظام البرلمانى او الابقاء على ظله دون حقيقته . والفريق الثانى يدعى فريق الحكومات الديمقراطية التى تعتمد على النظام البرلمانى وهى تعرف أن هذا النظام بما يستوجبه من قيام معارضة محترمة الكلمة وما يستدعيه من ايجاد لجان للدرس والبحث يؤخر الاصلاحات . ولكنها ترضى بهذا التأخير او هى تؤديه راضية كأنه ثمن الحرية التى يستمتع بها افراد الأمة . وهذا الفريق يعارض النظريات الجديدة كالاغراق فى الوطنية والعنصرية والتمادى فى مذهب السيف

وفى جميع الامم الديمقراطية سوابق الحكم الديكتاتورى او الاستبدادى جعلتها تكبر من شأن النظام البرلمانى وتغرق فى الدعوة الى الحرية . فان الولايات المتحدة الامريكية عرفت الاستبداد الاستعمارى البريطانى وحاربته ودعت الى الجمهورية فى وجه الملوكية . كما ان المهاجرين الاصليين الى القارة الجديدة انما تركوا بريطانيا رغبة فى الحرية الدينية التى لم يستمتعوا بها فى وطنهم الاصلى . ولذلك تعد الحرية الدينية والنظام الجمهورى البرلمانى ركنا من اركان النظام الاجتماعى عندهم

وكذلك الشأن فى بريطانيا . فانها مارست من احد ملوكها استبدادا انتهى الى حرب اهلية عامة كان ختامها قتل الملك المستبد . ولكن جاء على اثره ديكتاتور هو كرومويل الذى الغى البرلمان . فعادت البلاد بعد وفاته الى نوع من الملوكية الدستورية التى هى المثل الاعلى فى تأييد الحكم الديمقراطى البرلمانى

وكذلك الشأن فى فرنسا . فان ثورتها سنة ١٧٨٩ على الملوكية واستقرارها على النظام الجمهورى قد استنفد منها مجهودا وسن لها تقاليد فى الحرية تجعل التفكير فى قبول نظام ديكتاتورى بعيدا جدا عن مزاجها

المستر اوزوالد موزلى

ولكن على الرغم من ذلك نجد فى كل من هذه الامم الثلاث — الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا — بذورا للمذهب الديكتاتورى قد نستبعد الآن تحقيقه لضعف هذه البذور . ولكن المستقبل حافل بالاحتمالات الكثيرة التى قد تجعل من الضعف قوة . فان الخوف من الحرب او الخوف من الشيوعية قد يحملان الامة على الرضى بالاستبداد كما ترضى احيانا مدة الحروب بوقف الحياة البرلمانية والخضوع للحكم العسكرى

وبريطانيا هى اقدم الامم التى استمتعت بالحكم البرلمانى الديمقراطى ولذلك يعد انحيازها الى النظام الديكتاتورى كارثة كبرى على الحرية . وهى لهذا السبب ترقب بعناية من جميع الامم . وفيها الآن حزب فاشى برأسه السر آوزوالد موزلى . وهو حزب ضعيف لايلق غير تأييد ضئيل من الشعب . وكان قد شاعت له شكة خاصة فى اللباس يتخذها اعضاؤه ولكن الحكومة منعتها . واعظم مايجد من التأييد ينحصر فى الثروة الطائلة التى لزعيمه الذى ينفق بسخاء على دعايته . وهو يقلد الاشتراكية الوطنية الالمانية فى اضطهاد اليهود . وقد حدثت مشاغبات كثيرة من اعضائه الذين كانوا ولايزالون يتظاهرون فى الاحياء اليهودية فى لندن وغيرها . ولكن الحكومه البريطانية تحمى اليهود فى لندن بحماسة لاتستغرب منها اذا عرفنا خطتها فى فلسطين. والحجة التى يبرر بها السر موزلى قيام حزبه ودعايته ان النظام البرلمانى يؤخر الاصلاحات الاقتصادية ويضعف القوات العسكرية ويفكك الصلات الامبراطورية . وانه لاعلاج لهذه الحال الا بقيام ديكتاتورية تتولى الاصلاح بالامر

ولكل من الامم الديكتاتورية انبياؤها الروحيون او دعاتها المذهبيون المفلسفون فى الاخلاق . فنى ايطاليا مكيافيلى الذى دعا الى الاستبداد والمكر بالامة وخداع الجمهور . وقد نقل كتابه « الامير » الى اللغة العربية الاستاذ محمد لطفى جمعة قبل نحو ٢٥ سنة ... كأننا كنا فى تلك الأيام فى حاجة الى زيادة من الاستبداد . واعجاب موسولينى بهذا « الفيلسوف » كبير وله كتاب عنه . وفى المانيا يعرف القراء نيتشه الداعية الى مذهب القوة . وكذلك يعرفون اسمى تريتشكه وبرناردى وتشمبرلن .ولكن ليس فىهؤلاء الاربعه دناءة مكيافيلى فانهم يدعون الى مذهب القوة فى شرف وسمو يستهويان القارىء

اما فى بريطانيا فان داعية القوة او الديكتاتورية هو كارليل(١٧٩٥ — ١٨٨١) وهواقرب مايكون الى هؤلاء الدعاة الالمان وابعد مايكون من الداعية الايطالى . وليس هذا يستغرب فى رجل منقوع فى الثقافة الالمانية كبير الاعجاب بها . بل لعله اعظم كاتب انجليزى دعا الى الثقافة الالمانية وعمم بعض الوانها فى الادب الانجليزى . وكتابه « الابطال وعبادة الابطال » الذى نقل المرحوم السباعى بعضه الى اللغة العربية يدل القارىء على منحى تفكيره . فانه يقول ان الامم

انما هى ثمرة ابطالها الذين يسنون لها شرائع الدين والاخلاق وانظمة الحكومة والقضاء . وان الفرد يعلو على الوسط وينقل عامة الشعب الى مستواه بمجهوده وتفوقه الذهنى والاخلاق . والقارىء لهذا الكتاب يشعر كأن المؤلف يقول ان القوة فوق الحق . وقد قيل هذا الكلام فى ايامه فانكر انه يزعم ذلك . ولكن الواقع ان مايزعمه هو غير مايفهمه القارىء منه . فاننا نخرج من الكتاب وكأن الجماهير لاقيمة لها وان العبرة كل العبرة بالبطل الزعيم او القائد . وهذا هو لباب الديكتاتورية

بل ان مزاج كارليل — زيادة على تفكيره — يؤيد الدعاية الديكتاتورية . فانه يكبر من شأن العمل والكد ويصغر من شأن التفكير والترف . فالفنون والفلسفات ليست لها قيمة العمل المثمر الباق . ونقول ان هذا مزاجه فقط . لاننا من ناحية اخرى نجد ان ما يستهويه من الثقافة الالمانية هو فلسفاتها وتفكير رجالها

بين الحقيقة والخيال

أحلام اليوم حقائق الغد

بقلم الاستاذ نقولا يوسف

من الناس من اذا استخف بفكرة أو بكاتب وأراد أن يتنقصهما قال : « هذه فكرة خيالية وذاك كاتب خيالي » . وهو يقصد كما يتضح الى أن هذه الفكرة بعيدة عن الحقائق المألوفة لديه وأن ذاك الكاتب يعيش في جو من الأوهام . وبذلك تكون الفكرة ضربا من العبث العديم النفع . وأن هو صادف مبدأ يصعب عليه تحقيقه أو تصوره قال ، دون درس أو تمحيص ، « هذا ضرب من الخيال أو هذى أضغاث أحلام » واذا لقي انسانا يسمو بذاته أو بأمانيه قليلا فوق مستوى المألوف ، أو يخرج عن مجرى العادة التي درج عليها سواد الناس ، او يسبق زمانه بمثله وأحلامه كان من أهل الخيال وذوى الشذوذ وقد يتهم بالجنون !

ويفخر هذا الصنف من الناس بانهم قوم « عمليون » من أهل الحقائق الذين لا يأبهون إلا للأمر الواقع المحسوس . أما الخيال وثماره فأشياء لا تدركها الحواس ولذا فلا نفع منها يعود على الناس ! . المثل العليا في نظرهم أوهام وأحلام . والروح والبحث في أسرارها وهم يتنافى مع المادة التي هي كل شيء ! . عواطف الخير كالرحمة والعدل والحق والعفاف والحب ونحوها كلمات طنانة لا وجود لها في عالم الحقائق ! . الشعراء والادباء والفلاسفة والفنانون شواذ تسيطر عليهم أوهامهم ويشط بهم خيالهم عن الحياة الواقعة المجردة . ولا يدرى أحد ماذا يعنون بالحياة الواقعة المجردة ! . كل شيء لا يلمس بالايدى ولا يرى بالعين ولا يشم بالأنف خيال ووهم وعدم !

والحياة بالطبع لا تقول بالابتعاد عن الحقائق ولا بالهروب من الواقع ولا تسير بالخيال وحده . ولكن هذا التحقير للخيال وأهله يعود الى الجهل ويؤدى إلى الخلط بين الخيال الخاضع لسلطان العقل

وهو أجمل ما وهب الانسان من الملكات العقلية وأوفى خادم يعينه فى حياته على كثير من شئون العيش وبين الاوهام الباطلة التى لا يرتبط فيها الخيال بالواقع ، أو بينه وبين الامانى الخادعة ، أو الأخيلة المهوشة الطائشة ، أو أحلام اليقظة تنساب فى الرأس بمحمول لمجرد اللذة وتشييد القصور فى الهواء كما أنه يؤدى إلى الخلط بين الخيال والتصور وتداعى المعانى والتذكر والتأمل والتفكير .

ولكن ليس بضائر الخيال فى ذاته أن يكون لبعض الناس أخيلة مريضة يعيشون بها غرباء بين الجموع. وليس بضائره أن يضع أحدهم قصة أو ينظم قصيدة أو يؤلف كتابا ملؤه الأكاذيب والتلفيقات وان كان لا يخلو من متعة وتسلية تخفف من مشاق الحياة وقسوة الحقائق .

وهذا الجهل بمعنى الخيال ومدى خدماته قد أساء إلى هذه الهبة النفسانية والى النفس البشرية أيضا . وقد تسأل أحد أولئك « العمليين » إن كان يستطيع التخيل فيظن لأول وهلة انك تطالبه بالطيران فى أجواء الأحلام التائية وخلق الصور المبهمة التى لا تعرفها الحواس كأن يتصور الجن وجزر واق الواق . ولو كان الخيال أبعد عن هذا الظن والاما عجبنا من آثار عظماء الفنانين من مصورين ومثالين وموسيقيين وشعراء وكتاب وقصاصين ومعماريين ممن كان لخيالهم الفضل فى خلق الأعمال الفنية الخالدة . . بل أن أرباب المهن والمخترعين والمكتشفين لا غنى لهم عن الخيال يعينهم على الابتكار والابتداع والتطلع إلى ما وراء المحسوس .

والانسان يشب فى حاجة إلى تخيل يمده ويعينه فى أعماله فان كان عالما استحال عليه الوصول الى الحقائق إلا بعد التخمين والتمثيل .. وان كان سياسيا فانه لن يتوفق إلى تنفيذ الخطط إلا بعد فرض الطرق المؤدية إلى حل المشاكل وفرض النتائج .. وان كان كاتبا كان التخيل روح كتاباته ومبتكراته والمورد الذى يستقى منه التشبيهات والأمثلة وكل فروع البلاغة .. وان نشأ موسيقارا وجد الخيال محورا لما يبتدعه من ألحان ونغمات .. وان كان ممثلا لم يستطع أن يلبس مختلف الشخصيات التى يمثلها بغير التخيل..وهكذافان العالم والفنان والمخترع والفيلسوف والصانع وأرباب المهن على اختلاف أنواعها لاغنى لهم عن التخيل الجرىء الصحيح بل ان الحياة بلا خيال لعنة ونقمة ..

ثم أن الامل الذى لايعيش انسان بدونه والذى لاتقل حاجته إليه عن حاجته الى الماء والضوء والهواء إن هو فى الحقيقة إلا لون من ألوان الخيال .. وقد لايفرق الفرد الراقى عن المنحط إلا بتلك

الآمال وليدة الخيال التى تجيش فى صدره وبذلك التوقع والانتظار لما هو خير من الواقع الموجود . فالمنحط الذى لا أمل عنده ولا مثلا أعلى يصبو إليه يشبه الحيوان الذى يأكل ويشرب ويتناسل ويتم بدنيا المحسوسات ولا فرق عنده بين يومه وغده .. لأن الأمل والرجاء والتمنى والتوقع والانتظار كلها من طبيعة الحياة « وليس حياة المرء إلا أمانى »..

يقول علماء النفس : «ليس الخيال اداة فكرية لاتعنى إلى بالمستحيلات . ولا أن غرضه الرئيسى تسليتنا حين لانلق مانفعله اكثر من متابعة جولاته . إنه بالاحرى وسيلة ضرورية عادية تنير الطريق لاجل تفكيرنا وعملنا اليومى ، وسيلة بدونها نفكر ونعمل خبط عشواء أو بالتقليد الاعمى »

ويقول الاستاذ جيمس صلى العالم النفسانى : « إن المساوىء الناجمة عن أشكال الخيال الجامح المثير ، قدحملت الكثيرين على انتنقص من قيمة النشاط التخيلى بل كثيرا ما اعتاد البعض مقاومة الخيال فى الفهم الجدى والعقل المحب للحقيقة .. ويبدو الخيال لذوى الذكاء الضيق العملى قوة مقلقة سائبة فى التوازن العقلى . حتى الذين يكتبون عن العقل البشرى كثيرا ما انقادوا إلى الحكم الدارج فى قلة تقدير تلك الخدمة الذهنية التى يؤديها الخيال . ولا ننكر أن الخيال حين يخضع للميول والهوى يعوق العمل الذهنى الدقيق ، ولكن القوة الخيالية فى أشكالها الهادئة المنظمة هى عوامل حيوية فى تطور العلم والمعرفة . فجل معرفتنا بسطح كوكبنا الارضى وبتاريخ جنسنا البشرى وبالعالم الخفى للشعور والفكر انما نحصل عليه بطريق الخيال المنتظم النشيط . فهو جزء متمم للذكاء فى تطوراته الهامة . والرجل ذو البصيرة النافذة والسريع إلى فهم حقيقة جديدة أو موقف جديد أو فكرة جديدة يكون ولاشك من ذوى الخيال . وكثير من النوابغ مثل رواد العلوم والشعراء هم من أهل الملكات الخيالية »

ومن حسنات الخيال أنه يساعد على تكملة النقص وتجميل المشوه فى صور الطبيعة وفى المجتمع مما ساعد على ازدهار الفنون الجميلة واصلاح النظم الاجتماعية .

فنحن لانقنع من الطبيعة بصورها وأشكالها الاصلية لان الجمال ذاتى لاموضوعى أى أنه كائن فى نفوسنا الشاعرة لا فى صور الطبيعة وحبنا للجمال الذى يتفاوت مقداره فى نفوسنا يدفعنا إلى الاستعانة بخيالنا فى تكملة النقص واصلاح المعوج وتطبيق المثل العليا التى تجول فى أحلامنا لنخلق صورا أكثر جمالا واتقانا من الواقع الساذج .فنحن نشذب الشجر ونقص الغصون ونعبد الأرض

ونضد الزهر وننسق الحدائق ونشيد مشاتل الزرع ونطعم الفاكهة ونستولد ونربى أنواعا أجود وأجمل من صنوف النبات والحيوان بل نحن نمارس اليوم اليوجنية والتعقيم ونستوحى الطب لاستيلاد أناسا أقوى وأصح وأجمل مما حولنا . ونحن نبنى البيوت والعمارات ولكنا لا نقنع بمرآى أحجارها وخشبها على سذاجتها فنعمد الى الطلاء والهندسة والنقش فى اظهار فن معمارى ترتاح اليه العين . وكذلك نعمد الى رسم الوجوه الجميلة والاجسام البديعة والتماثيل الرائعة لاننا قلما نلقى مثلنا العليا فيما حولنا . ونحن نبتدع الألحان ونمارس الغناء لأن الأصوات التى حولنا لا تشبع ما تصبو إليه آذاننا وكذا الحال فى الرقص ونظم الشعر وسائر الفنون الجميلة

وهذا النقص الذى نلقاه حولنا فى الصور والاشياء نجده أيضا منذ القديم حتى الساعة فى الشئون الاجتماعية والنظم السياسية والقوانين والشرائع وهنا قام وما زال يقوم من حين لآخر عدد من المجددين والفلاسفة والمشرعين ودعاة الاصلاح والكتاب، وكلهم من ذوى المخيلات المبتدعة فيعملون ما يفعل الفنانون من استلهام الخيال فى علاج النقص وتقويم المعوج . وكان أن صور الفلاسفة أحلامهم فى مؤلفات ومشروعات عديدة وكان أن تخيل معظمهم طوبى « يوتوبيا » ، كل وفق مزاجه ومبادئه . ولن يكف الأدباء والمشرعون عن رسم هذه « الطوبيات » مادام فى الناس من يصبو إلى مثل أعلى للحياة الانسانية لا يلقاه فيما حوله من حياة مضطربة ناقصة .

هذه الأمنية العذبة لعالم فاضل أو لمدينة فاضلة تطالبها النفس البشرية منذ أن بدأ الانسان يتخيل . فمنذ أكثر من ستين قرنا تخيل المصريون حياة آمنة سعيدة ولكنهم إذ يئسوا من تحقيقها على الأرض فقد أبدعوا فى تصويرها بعد الموت فهناك وراء القبر تقع حقول السلام والامن والرفاهية « سيخت حيتيبت » حيث يتمتع الانسان بالخلود والراحة فى « امنتت » العالم الخفى المستور

ثم جاء حكيمان اغريقيان فألف كل منهما كتابا فى المدينة الفاضلة وتبعها افلاطون فى القرن الخامس قبل الميلاد فوضع جمهوريته أوطوباه التى يرأسها الحكماء . وفى عام ١٥١٦ ظهرت « يوتوبيا » توماس مور، وظهر فى القرن السابع عشر عدد من الطوبيات أشهرها ماألفه يوحنا أندريا الالمانى واللورد بيكون الانجليزى وكامبانيلا الايطالى - وجاء القرن الثامن عشر بثوراته وانقلاباته فعادت مخيلات الادباء تحن الى الهروب من فوضى المجتمع وأخذ أمثال روسو وشاتوبريان وبرناردين سان بيير وغيرهم يدعون

إلى العودة إلى بساطة الطبيعة وهدوئها . وفى ضجيج القرن التاسع عشر حين كثرت المخترعات وتطورت الصناعة وعمت الانقلابات فى نظم المجتمع وانتشرت مبادىء الاشتراكية : ظهر عدد من الطوبيات أكثرها اشتراكى النزعة مثل حلم شارل فورييه وطوبى روبرت أوين وصورة البلدة النموذجية لجيمس بكنجهام و « ايكاريه » اتين كابيه و كتاب ادوارد بلامى الذى تخيل فيه حال المجتمع عام ٢٠٠٠ وموريس الذى نزع فى طوباه نزعة تقرب من الشيوعية وغيرهم ..

ثم جاء القرن العشرون ولم تنقطع أحلام الادباء والفلاسفة بل بالعكس زادت واختلفت وجهاتها فأخذ ولز يؤلف الطوبيات مثل كتاب « يوتوبيا عصرية » و كتاب « اناس كالآلهة » وأخذ يحلم بالحكومة العالمية ويؤلف مختلف الكتب التى تدور حول العالمية وتوحيد الامم .. كما أخذ هندريك اندرسون يضع تصميمات مدينة دولية تكون عاصمة العالم ومركز اتصاله .. وطفق الكتاب فى مختلف جهات الارض يحلمون بالسلام العام ونزع السلاح وتقوية عصبة الامم وخلق مجتمع عصرى جديد ذى مبادىء وأخلاق جديدة .

وليس لنا أن نهزأ بتلك الاحلام لأن حقائق اليوم وليدة أحلام الأمس وستكون أحلام اليوم حقائق الغد . .

فى القرن التاسع عشر ظهر روائى فرنسى اسمه جول فرن (١٨٢٨ — ١٩٠٥) أخذ يؤلف القصص الخيالية ويحشد فيها عددا من المخترعات . وكان مما وضعه قصة اسمها « رحلة حول العالم فى ثمانين يوما » زعم فيها أن انجليزيا تراهن مع بعض أصحابه على أن يقوم من لندن فى ٢ اكتوبر عام ١٨٧٢ ليعود إليها بعد ثمانين يوما بعد أن يتم دورة حول الكرة الأرضية مستخدما البواخر والسكك الحديدية ومارا بطريق قناة السويس . وكان مبلغ الرهان عشرين ألفا من الجنيهات . وسرعان ماذاع خبر ذلك الرهان وتناقله الناس والصحف ورماه الناس بالجنون وسخرت عشرون جريدة بهذا المشروع وعد الناس المصاعب والعقبات وحسبوا حساب مخاطر الطريق وزوابع البحار ولكن جول فرن يعود ببطله سالما وقد أتم طوافه حول الارض فى ثمانين يوما .. واليوم أتم هوارد هيوز الطواف حول الأرض بطائرته فى ثلاثة أيام و ١٩ ساعة فلم يدهش أحد !

حلم الناس منذ القديم بالطيران وملك هذا الخيال عليهم نفوسهم . وتصور البعض السجادة

المسحورة التى تطير بصاحبها فى الفضاء . ورمز اليه الاشوريون بأسد ذى أجنحة . وكسا عباس بن فرناس جسمه بالريش ومد له جناحين وطار قليلا فى الجو ولكنه لم يحسن الاحتيال فى وقوعه كما يقول المقرى ولم يدر أن الطائر انما يقع على زمكه . . واليوم تطير الفتيات فى كل قطر . ويطوف الكثيرون حول العالم بطائراتهم بين حين وآخر

منذ خمسة آلاف سنة جلس رجل فى قصره المشرف على النيل يحلم بتشييد بناء هائل يكون اعجوبة الزمن وتمادى به الخيال ثم أصدر أمره فاذا بالحلم يتحقق واذا بهرم الجيزة يقف منذ خمسين قرنا شامخ الرأس ! .

فى القرن السادس ق . م رأى فيثاغورس أن الأرض تدور ولكن بطليموس الفلكى كان يرى ذلك خيالا بل خزعبلة فارغة ويغرق فى الضحك كلما ذكرها !

فى عام ١٧٧٦ قدم المركيزجوفروا مشروعا عن صنع السفن البخارية فرماه الناس بالعته وقالوا: هل يتفق الماء والنار ؟

كانت كثير من المخيلات تحلم بشق قناة برزخ السويس توصل بين البحرين الابيض والأحمر ولكن هذا الحلم كان يختنق . ثم شغل هذا الحلم أفكار المهندس فرديناند دى لسبس فأخذ يلبس هذا الخيال القديم ثوب الحقيقة ولما قدم مشروعه كتبت مجلة « عالم المهندسين »: ان المهندس دى لسبس هو من جميع الزملاء أغربهم أطوارا وا تخرهم ميلا الى المجون » ثم أبلغ المهندسون زميلهم ان المشروع خيالى يستحيل اتمامه من الوجهة المادية !



عصبة الأمم في نظر ولز

آلة نافعة تحتاج الى الاصلاح

ليست عصبة الامم اليوم فى الواقع بظاهرة عظيمة الأثر — ويمكننا أن نشبهها بمجموعة صغيرة من البداءات وسط مساحات كبيرة ما زالت خالية . وطبيعى أن تكون كذلك .

إن فكرة انشاء عصبة عالمية لجميع الأمم كانت مجهولة قبل العشر السنوات الأولى من هذا القرن ولقد ولدت العصبة فى ثورة مفاجئة للأمل البشرى عند نهاية الحرب العظمى . فى ابان ثورة أفكار الناس التى نجمت عن كارثة الحرب فى ١٩١٤ — ١٩١٨ كان هناك استعداد حقيق للتخلص من الأساليب الحربية والسياسية التى ساهمت فى جلب تلك الفاجعة .. كان هنالك حديث كثير عن السياسة الصريحة حينما ظهرت شخصيات سياسية عظيمة لا سيما شخصيـة الرئيس ولسون مما كان لها أثر بين فى العالم .. ظهر أن الوقت ملائم لتخلص جرىء كلى من نمط حكومات متنافسة مستقلة ولتوطيد سلام عالمى مستتب بمعونة وتحبيذ معظم الجنس البشرى . بدا هذا الامر مستطاعا وقتئذ . وكانت عاطفة القرن التاسع عشر من أجل مصلحة الامم الصغيرة قد سيطرت على مخيلة الرئيس ولسون فى وقت كان العالم يصيح فيه طالبا الوحدة والائتلاف

أن مجرد اسم العصبة يتضمن الاتحاد ولكن الرئيس ولسون لم يتابع هـذا التطبيق . ولعله كان مؤرخاً أكثر منه مبتكرا . ومن المؤكد أنه كان يتصور ما سيكون ولكنه كان مهتما فى وضع هـذه الصورة فى شكل قديم تقليدى . انه لم يفكر فى البشرية مقيدة بسلاسل الوطنية بقدر ما كان يفكر فى القوميات الصغيرة وهى تناضل من أجل حريتها .. وبذلك كانت جمعية الامم منذ ولادتها فما بعـد مهداة الى الامم الوطنية وكانت مثقلة بالمهنة السياسية .. لقد وجدت لتجعل العالم آمنا فى ظلال

الديموقراطية ولكنها جعلته خاضعا للديبلوماسية .. وهى لم تشف بعد من هذا التلقيح بميكروب الوطنية السام وربما لن تبرأ منه .. إنها فى العشر السنوات الماضية أظهرت مقدرة صغيرة على النمو أو الابتداع وفقدت معظم أو كل ما كان يسندها فى مخيلات سواد الناس ولم يعد العالم يتطلع اليها كما يتطلع إلى شارة الأمل ..

ومع ذلك فقد كانت بداءة شديدة الاهمية . وقد يكون سابقاً لأوانه أن نعتبر جهودها وقد تلاشت .. ان كل من يهتم بالحـال الحاضرة لشئون البشرية مضطر الى تدقيق النظر فى عملها والاستفادة مما تستطيع أن تعلمه أو تقترحه لتافيرتاب من ادعاءاتها الحاضرة ويؤمل فى فائدتها المستقبلة .

لقد وضعت مؤلفات عديدة عن نظام عصبة الامم وعملها ومن أهمها كتاب « أصل وانشاء وعمل عصبة الامم » لهوارد أليس ١٩٢٨ — والكتاب الذى وضعته سكرتيرية العصبة عام ١٩٣٠ وهو « عصبة الامم — عشر سنوات من التعاون العالمى » ثم كتاب « ما هى عصبة الامم » الذى وضعه ولسون هاريس . — وهذه الكتب وضعت نظام العصبة فى ضوء كبير من الامل وكلها تجعل الاسباب التى تنظر من ورائها الآن الى تدرج الامم نحو الوحدة واضحة . ومن الكتب التى تدرس العصبة بانتقاد أكثر هى « عصبة الهيئات والنظام الدالى » تأليف ه . ر . جريفز ١٩٣١ وكتاب « الادارة الدولية » لنورمان هيل ١٩٣١ الذى يعالجها من الوجهة التشريعية .ولقد اعتمدنا على هذه المؤلفات خاصة فيما ذكرناه هنا من حقائق

ويظهر أن الرئيس ولسون لم يكن لديه فلسفة سياسية عصرية جدية ، كان لديه عقل تشريعى أكثر منه سيكولوجى .. كان ذكاؤه وليد القرن التاسع عشر أكثر من القرن العشرين . وقد هاجمته ظروف الزمن بلا تمهيد . ولعله كان يثق بنفسه أكثر مما يجب . وكان أتباعه وخصومه أكثر من مساعديه .. والعصبة كما يظهر أنه تصورهـا كانت نوعاً من حكومة فوق اتحادية وقد وضع دستورها كما لو كان أحد مشرعى الدستور الامريكى قد وضعه . خرجت العصبة إلى حيز الوجود كأنها حكومة شبه برلمانية لها غرفة عليا وأخرى سفلى ..دار تشمل الوفود الممثلة لجميع الامم المشتركة بالعصبة .. كل وفد يعطى صوتا واحدا .. والمجلس هو اجتماع الممثلين الدائمين للدول القوية وعدد محدود من مندوبى الدول الاخرى الذين يدخلون ويخرجون من المجلس فى أوقات منتظمة لن

نذكر هنا قصة فرساى وما أعقب ذلك من رفض مجلس «السنات» الامريكى بالسماح للولايات المتحدة بدخول العصبة ..

ينعقد اجتماع العصبة عادة فى شهر سبتمبر من كل سنة ويجتمع هذا البرلمان الجزئى للبشرية وتزدحم فنادق جنيف بجموع غفيرة لا بالوفود الممثلة للامم فقط بل أيضا بجمهرة عظيمةمن التابعين والصحافيين والناشرين والمهتمين بشئون العصبة . واذ ذاك تصبح جنيف أكثر المدن انتعاشا وتزدحم أرصفتها ويرى المتعاقون بالمسائل العالمية مسرعين هنا وهنالك وعابرين جسر مونت بلان ... قد ويشمل الوفد الواحد عددا كبيرا بقدر ما تختار دولته ولكن لكل وفد صوتا واحدا . ويلتئم الاجتماع أولا فى دور كامل بالقاعة العامة حيث تناقش المسائل الدولية الجارية . ثم تنظر بعض المسائل فى غرفة الاجتماعات الخاصة وتكتب التقارير وينظر فيها .. ثم يزداد التردد على الفنادق ثانية وبعدها تتفرق الوفود شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ..

ولكن العصبة تعد أيضا مكانا لاجتماع ساسة الدول العديدة أوهى فندق سياسى تنشأ فيه صلات الود والتفاهم الغير المسجلة فى وثائق

لقد فصلت فى قضايا الحدود بين ايطاليا واليونان عام ١٩٢٣ وبين بوليفيا وبارجواى عام ١٩٢٨ وفى تحديد التخوم فى الموصل . ولكنها ازاء الحرب البيضاء أى حرب التعريفة والاسعار أو ازاء الحرب الحمراء فى التهديد الحربى والاستعدادات الحربية قد برهنت على أنها هيئة غير ذات أثر .. وفى سبتمبر ١٩٣١ بينما كانت العصبة مجتمعة بدأت الحرب بين اليابان والصين وكانت بداءة لعدة غزوات يابانية احتجت العصبة عليها عبثا اذ كان رد اليابان على هذا الاعتراض المتأخر أن أرسلت مذكرة بالانسحاب من العصبة . وفى سنة ١٩٣٣ تسلمت العصبة أيضا مذكرة من ألمانيا بالانسحاب وبذلك بقيت بريطانيا وفرنسا وايطاليا القوى العظمى فى مجلس العصبة واذا بايطاليا تهدد بالخروج من العصبة اذا لم يعاد النظر جديا فى دستور العصبة ..

واليوم ما زالت العصبة تتابع سيرها بنشاط ذى مد وجزر ولو أن فكرة اعادة انشائها تحرك الشعور البشرى .

إنها تؤدى عددا من الأعمال المباشرة إلا ان اهتمام العالم بخطواتها أخذ يضعف بالتدريج بعد أن زاد الشعور بقلة تأثيرها المرجو . فهى تجتمع الآن وتفترق دون أن تترك أثرا واضحا فى الصحافة الاوروبية والامريكية . تلتئم بلا ضجيج ولا تبعث هزة فى الارض بل أن معظم الناس لا يحسون باجتماعها ولا انفضاضها . .

ولكن وراء هؤلاء الاعضاء والبرلمانيين توجد السكرتيرية — المصلحة المدنية للعصبة — التى نتجه إليها باهتمام خاص بعد اختبارنا للمطالب المصرية وأساليب الحكومة . فهنا سكرتير العصبة الدائم (وهو اليوم جوزيف افينول) وموظفون عددهم ٦٨٠ شخصا من خمسين امة مختلفة . وكذلك يوجد عدد من اللجان السياسية والاقتصادية والمالية وللمواصلات ونزع السلاح والصحة والاجتماعيات والتعاون الثقافى والنشر وغيرها . . وهنا تسجل المعاهدات وتقوم هيئات فنية واستشارية مختلفة . بعضها دائم والبعض الآخر يجتمع للأعمال المطلوبة ويعمل بوفاق مع اللجان الدائمة . ولكن ليس لهذا النظام كله قوة تنفيذية ولو أنه يدرس وينصح ويحضر المعاهدة

وهذه السكرتيرية تقيم دائما بجنيف فى غير أوقات الفراغ من العمل والاجازة . وهى تقيم فى عدد من الفنادق أهمها الفندق الاهلى الذى أصبح أهم قصر للامم . . وتشيد الآن ابنية خاصة لتلحق بهذه المساكن .. أما أشخاص السكرتيرية فتنتخبون من الاخصائيين فى علمى السياسة والادارة . وقد اوصت هيئة التنظيم فى عام ١٩١٩ أن هؤلاء ، رجالا ونساء ، يجب أن يكونوا متصفين باحسن الصفات التى تؤهلهم لتأدية الواجبات الموكولة إليهم دون أى ضرورة مفروضة لاختيارهم من جنسيات مختلفة — « أعضاء السكرتيرية إذا عينوا مرة فلن يعودوا فى خدمة بلادهم الخاصة بل يصبحون مدة تعيينهم فى خدمة العصبة وواجباتهم ليست وطنية بل عالمية »

وكان المرجو أن ينشأ فى السكرتيرية عقل عالمى ولكن الغيرة الوطنية لم يطارد روحها الشرير من جنيف أبدا . ولا ينفك أشخاص السكرتيرية يزعجون باستمرار بسبب تلك المسائل ذات القوة المؤثرة حتى أنها لم تنل نصيبا عدلا فى الآلة الادارية . .

وأذا اتخذنا مثلا معهد التعاون الثقافى الذى هو من أخص بناء العصبة لوجدنا أنه لم يؤد شيئا من تلك الغايات المرجوة منه .

أن العصبة تعمل قليلا جدا . ليس فى اتجاهها السياسى خيال مبدع أو كبرياء حى يطموح سام . انها من هذه الناحية تهرب من الوقوع فى مصاعب مع الحكومات السريعة الغضب . . انها لاتقود الطريق نحو الاتحاد ولو أنها تعمل أحيانا نحو الطرق الموحدة . لقد قتلت وعطلت تلك الرغبة الخطيرة الوامضة التى ترمات لكل الساسة والدبلوماسيين فى انشاء حكومة عالمية فائقة . . هذه الرغبة التى سطعت فى عقول الناس عام ١٩١٨ والتى ربما تسطع ثانية وتشتعل إذا ما اشتدت متاعبنا . ولكننا نشك فيما اذا كانت تشتعل على مذبح جنيف .

دعنا مع ذلك نتقبل عصبة الامم لما هى عليه ولما قد تكون عليه . . أنها عمل صغير إذا قسناه بما يجب أن يكون عليه أى توحيد ثقافى واقتصادى وسياسى حقيق ، ولكنه عمل . . انها موجة فى التيار المتقدم نحو تحقيق الوحدة . . انها اضافة دائمة نافعة ولو انهـا متواضعة الى الأغراض الحكومية للنوع البشرى . . انها ليست بيت الوحدة العالمية بل هى اليوم عنوان بريدى مريح . . لقد كانت ومازالت وربما تظل مركز تبادل التحريات والمقابلات واعداد المعاونات ذات الأثر ؟

نون



كتب الشهر الجديدة

الاخلاق

تأليف المرحوم عبد الرحمن زغلول . قام بالطبع والنشر مطبعة المعارف بالفجالة . بمصر . صفحاته ٢٠٠ من القطع الكبير

لهذا الكتاب مقدمة كتبها الاستاذ محمد عبد الجواد تبلغ ٢٢ صفحة ترجم فيها بالمؤلف الذى ولد فى ١٨٦٧ ومات فى ١٩١٨ ، وهو ابن اخ الزعيم الخالد سعد زغلول. وكان مدرسا فى مدارس الحكومة ثم انتدب للتدريس فى برلين . وشكا فى اواخر ايامه من مرض نفسى يصفه احد عارفيه بانه كان قريباً من الولاية . وهذا الكتاب يبحث الاخلاق فى اسلوب سهل وتفكير بعيد عن الملابسات الاقتصادية او السيكلوجية التى ينتظرها القارىء من مؤلف حديث . وقد قال الاستاذ محمد عبد الجواد فى المقدمة هذه الكلمات التالية التى تعد تلخيصا لآراء المؤلف :

« ولقد يلحظ القارىء ان الثلاثين عاما التى مضت على هذه المذكرة حققت كثيرا من آمال الاستاذ التى كان يشير اليها . ومنها : ١ — وجوب العناية بتعليم البنت . واعطائها حقها من الاعتبار ٢ — رأيه ان الازهريين يجب عليهم تعلم اللغات الاجنبية حتى يتصلوا بالعالم ٣ — دعوته الامراء لمشاطرة الامة مشروعاتها ٤ — تأسيس الجامعة المصرية ٥ — اشارته الى الخلاف الذى قام حول الميضآت والحنفيات » ومن هذه الخلاصة يعرف القارىء الموضوعات التى اهتم بها المؤلف ويجب ان نذكر ان هذا الكتاب وضع بين سنتى ١٩٠٦ و ١٩١٠ . ولذلك يجب ان نذكر هذا التاريخ حين نقرأ ما يقول مثلا :

« اما الطبقة الدنيا من العمال والصناع (فى مصر) فقد غلبهم الحشيش والخمر على عقولهم حتى اصبح ورم العينين وهو فى الغالب علامة عدم الاستقامة سمة لا كرام . سألنى قريب لى عند عودتى من اوربا عن شىء اكون قد استغربته عند وصولى الى مصر . فلم اذكر له ما يصلح . فقال : ولكنى اول ما عدت

اخذني العجب من مرأى العيون . فانني رأيت اغلب الاجفان وارما . الم تفكر مرة في هؤلاء العملة الفقراء الذين يترددون على المانيا — ؟ وفي اسرهم ؟ »

ثم ينقل مقتبسات من « سر النجاح » التي الفه سميلز في القرن التاسع عشر لكي يبين ميزات النشاط وهو يجهل او يتجاهل تأثير الوسط . بل هو يجهل ماقاله روبرات ، ون قبل ١٣٠ سنة وهو : انما الاخلاق تكونها الهيئة الاجتماعية للفرد ولايكون هذا لنفسه شيئا منها

والكتاب هو ذكرى بارة لشخصية محبوبة من اسرة يعرف كل مصرى فضلها على الوطن

تجديد ذكرى أبي العلاء

تأليف الدكتور طه حسين بك صفحاته ٣١١ من القطع الكبير . قام بطبعه مطبعة المعارف بمصر

هذا الكتاب هو أول مؤلفات الدكتور طه حسين وضعه وهو شاب معمم سنة ١٩١٤ . وقد اعاد طبعه بلا تنقيح . وقد استفاضت شهرة الدكتور طه حسين بعد تأليف هذا الكتاب وأثمر قلمه مؤلفات سامية عديدة . ولكن لهذا الكتاب قيمة الحب الاول عند كثير من القراء . ومع أن المؤلف كان في سنة ١٩١٤ قريب العهد بالازهر فانه كان ثائرا عليه يتحرى أساليب النقد والفن الاوربية الحديثة وكتابه هذا هو مثال للنقد النزيه

والكتاب خمس مقالات . الاولى (١٠٩ صفحات) تصف عصر المعرى وهو يتناوله من جميع نواحيه السياسية والثقافية . والثانية تصف حياة المعرى . والثالثة تصف ادبه . والرابعة تشرح علومه ومعارفه وكتبه . والخامسة تعالج فلسفته

ويصف المؤلف رسالة الغفران التي الفها المعرى بقوله : « لم يخترع ابو العلاء في هذه الرسالة شيئا كثيرا . انما وردت أقاصيص الوعاظ باكثر ما فيها . فاذا كان في الرسالة شيء فهو التنسيق والسخرية . على انه قد أخطأ مواضع من الخيال كان حقه الا يخطئها . فان ابن القارح في أحد مجالسه جعل كلما تمنى لقاء رجل من أهل الجنة نظر فاذا هو بين يديه فلم يكن فرق بين سكان الجنة وبين أثاثها وفاكهتها في ذلك . وكذلك أوقع اطلاف والمهاترة بين أهل الجنة حتى كادت تقع الملائكة بين ابن القارح وبين رؤبة لولا أن توسط الحجاج . ولقد مر ابن القارح بمدائن الجن في الفردوس . فزارهم

وسمع من الشعارم . فهذه اشعار بلغت من غرابة اللفظ والاسلوب مبلغا يخيل الى سامعها انه كلام الجن حقا . وما نشك فى أن أبا العلاء هو الذى انتحل هذه الاشعار . لما معانيها فلا تتجاوز ما روى فى الاخبار الدينية من أحوال الجن . . وحسبنا أن نقرر الآن ان هذه الرسالة هى أول قصة خيالية عند العرب »

علم النفس

تأليف ماندر وترجمة نظمي خليل صفحاته ١٢٨ من القطع المتوسط قام بنشره لجنة التأليف والترجمة والنشر

مؤلف هذا الكتاب معروف فى اللغة الانجليزية بتبسيط النظريات السيكلوجية وكتابه هذا من خير مؤلفاته الشعبية التى يمكن القارىء العادى أن ينتفع بها . والترجمة سهلة رصينة بعيدة عن التكلف مع الدقة فى الاداء . والكتاب ثلاثة فصول يصح أن تكون ثلاثة أبواب كل منها يعالج مشاكل متشابهة متصلة . الاول يبحث رغباتنا الاولية . والثانى يشرح هذه الرغبات . والثالث يبحث تكوين الاخلاق . وهذا هو خير ما فى الكتاب . واليك ما يقول تحت عنوان عاداتنا فى اخلاقنا :

« إن الرغبات الأولية عامة فى جميع الطبائع البشرية ، وقد لاتكون متساوية القوة فى جميع الناس نظراً للاختلافات الجسمية بين الأشخاص ، ولكنها موجودة فى جميع الرجال العاديين والنساء على السواء .

« إذن فما الذى سبب كل هذه الاختلافات التى نجدها فى سلوك الأفراد الفعلى؟ السبب هو أن كل إنسان قد عثر بطريق المصادفة على طرق كثيرة متباينة للافصاح عن هذه الرغبات الأولية وإشباعها .

ولقد أبنت عند الكلام على الظروف والتجارب التى تجرى فى الطفولة الأولى ، كيف يعثر الأطفال على طرق مختلفة لاشباع رغباتهم ، وقد تستمر هذه العملية بدرجة ما بقية حياتنا ، بعد أن تتحدد وتتعدل بتأثير العادات كلما تقدمت بنا السن .

« فاذا سلكنا مرة طريقا خاصا ، وأعقب هذا السلوك إشباع رغبة أولية ، فاننا نميل فى الظروف المشابهة إلى تكرار ذلك العمل ، ويقوى هذا الميل شيئا فشيئا كلما تكرر منا العمل ، وحينئذ نكون قد كونا عادة الافصاح عن هذه الرغبة ، ومحاولة إشباعها عن هذا الطريق الخاص . وهذا ما حاولت أن

أبرزه، وأؤكده بشتى الأمثلة فى الجزء السابق من هذا الكتاب ، وهو الطريقة التى تتكون بها الأخلاق.

«وأنت أيها القارىء لديك لا شك هذه الرغبات الأولية الاثنتا عشرة ، وقد كونت نفسك عادات الافصاح عنها والبحث عن إشباعها بطريق مختلفة قد تبلغ الستين مثلا ، ثم إن شخصاً آخر لديه هذه الرغبات الاثنتا عشرة ، ولكنه قد كون لنفسه عادات الافصاح عنها بستين طريقة أخرى مخالفة للاولى ؛ هذا هو الفرق الأساسى بين أخلاقه (أو أخلاقها) وأخلاقك»

على هامش السيرة

الجزء الثاني . تأليف الدكتور طه حسين بك صفحاته ٢٨٢ من القطع المتوسط
نشرته مكتبة ومطبعة المعارف . بالفجالة . بمصر

للدكتور طه حسين بك ذهن خصب يتناول السياسة والاجتماع والتاريخ والادب والفلسفة فيلقى عليها جميع شعاعاً مضيئاً من النقد او الفن ويحيل صورها الى الوان فذة من الجمال . وهذا الكتاب الديني يتناول تاريخ النبي الكريم هو من احسن ما اخرجته المطابع العربية فى العصر الحديث فان الكتب القديمة قد اصبحت بعيدة فى جوها التاريخى القديم عن اذهان القراء المحدثين ولذلك لا يسيغونها ولا يقربونها حتى كدنا نتفصل عن هذه الكنوز القديمة . والدكتور طه حسين يقع على وحيها فيحيله شهداً يساغ ويستطاب . ولابد ان القارىء المسلم — بل المسيحى ايضا — يلتذ هذه السيرة المحمدية ويخرج من الكتاب وهو اعرف بالنبي واكثر حبا له . وقد ظهر الجزء الاول من هذه السيرة قبل خمس سنوات واعيد طبعه لاقبال القراء عليه . وهذا الجزء الثانى يصل بالقارىء الى اكثر من منتصف الطريق . ولابد من جزء ثالث لاتمام السيرة

اما مصادر الكتاب فقد قال فيها المؤلف : « ولن يتعب الذين يريدون أن يردوا فصول هذا الكتاب القديم فى جوهره واصله الجديد فى صورته وشكله الى مصادره القديمة التى أخذ منها . فهذه المصادر قليلة جدا لا تكاد تتجاوز سيرة ابن هشام . وطبقات ابن سعد . وتاريخ الطبرى . وليس فى هذا الكتاب فصل أو نبأ أو حديث الا وهو يدور حول خبر من الاخبار ورد فى كتاب من هذه الكتب . فاذا اتصل الخبر بشخص النبي فانى أرده الى مصدره ليستطيع من شاء أن يرجع

اليه . لا احتمل فى ذلك تبعة خاصة لانى لا أذهب فيه مذهبا خاصا الا أن يكون تبسطا فى الشرح والتفسير واستنباط العبرة والوصول بها الى قلوب الناس »

العرب والحرب الاهلية فى أسبانيا

تأليف الاستاذ عادل بكداش صفحاته ٩٦ من القطع المتوسط . طبع بدمشق

الغاية من هذا الكتاب وصف حال أسبانيا فى الحرب الاهلية القائمة وشرح السياسة التى يجرى عليها فرانكو والمؤلف يصف ألوانا من العذاب الذى يلقاه الاسبانيون على يد فرانكو . وهو يتهم المانيا وايطاليا بأنهما دفعتا فرانكو الى الثورة ويستنكر خطة بريطانيا وفرنسا لانهما تقفان موقف المتفرج وترضيان بانهيار الديمقراطية الاسبانية . ومن فصول : وحشية الفاشيين فى أسبانيا . الريف فريسة الفاشيين . مراكشى هارب من جحيم فرانكو يتحدث

وهو يرى ان مصلحة العرب فى جميع الاقطار العربية أن يؤيدوا الديمقراطية فى أوربا عامة وفى أسبانيا خاصة

كتب أخرى

وصلت الينا هذه الكتب متأخرة وقد نعود اليها فى اعداد قادمة :

(المدينة المنيرة) قصة فى ١٩٢ صفحة متوسطة اصدرتها جمعية نشر المعارف المسيحية تأليف ايلين جراث وترجمت من الانجليزية بقلم الآنسة ليديا مترى حنا . وهى منسوجة على غرار قصة المسيحى الذى نهجت المؤلفة منهجه واتبعت أسلوبه

(المانيا اليوم) مقالات مجموعة تصف الحال الاقتصادية والاجتماعية فى المانيا اليوم كتبت بقلم الاستاذ ثابت ثابت صاحب مجلة الفلاح الاقتصادى صفحاتها ٢١٩ من القطع الكبير (شارع الملكة فريدة رقم ١٩ . مصر)

تقدم العلوم والفنون

تبخير البحر المتوسط

فكرة خيالية . حاولت الافلام السينمائية ان تحققها ، فى قالب روائى على الشاشة البيضاء ، وقد نجحت لدرجة انها شغلت رجال السياسة ، فى اوربا . وهى فى الواقع ، ليست خيالية للدرجة التى نظنها لاول وهلة . لأن العلماء الذين فحصوا عنها نظريا ، لايعارضون فى امكانها .

ولقد بنى المشروع على حقيقة ان البخر فى مياه البحر الابيض المتوسط ، اكثر من كمية المياه التى تغذيه بدوام ، من الانهار التى تصب فيه مباشرة ، وبناء على ذلك ، اذا سدت المنافذ ، التى ايضا تتدفق منها المياه الى البحر الابيض المتوسط ،عند كل من جبل طارق والبسفور وقناة السويس فان مياه البحر المتوسط لابد ان تتبخر باسرع مما تصبه فيه الانهار . ولو انه لن يجف تماما ، الا ان مساحات شاسعة جديدة من الارض سوف تظهر . وفى اثناء ذلك ، تقام خزانات عظيمة تستمد قوتها من المحيط الاطلانطى ومن البحر الاسود للانتفاع بها فى الاغراض الزراعية والصناعية .

ويستمر الفلم المذكور بعد ذلك ، فى اظهار الممكنات التى تترتب على هذا المشروع . فان مايزيد من المياه فى البحر الاسود يمكن ان يتحول الى بحر قزوين ، الذى ينخفض بنحو ٨٠ قدما تحت مستوى البحر ، وبهذه الطريقة فان الصحراء القريبة من بحر قزوين تتحول الى ارض خصبة. وبالمناسبة ، فان روسيا السوفيتية قد سرتها الفكرة ، واعلنت عن عزمها بفتح قناة من بحر قزوين تربط نهرى الدون والفولجا به . وهذه بطبيعة الحال ، سوف تقلل من كمية المياه بالبحر الاسود. واذا اغلقت بوغازات جبل طارق والدردنيل والسويس ، فان مستوى المياه فى البحر المتوسط

يهبط بانتظام ، كما انه بمساعدة السدود ، يمكن ادخال كمية المياه الموازية بالضبط لكمية البحر : ويقدر احد المهندسين لرجال السياسة، تبعا لحوادث هذا الفلم ، ان قوة ١٦٠ مليون حصان يمكن انتاجها من سد جبل طارق ونحو ١٥٠ مليون حصان من التيار الكهربائى عند القسطنطينية .

ويستمر المهندس فى عرض ما يمكن الحصول عليه من الارض التى تستخدم للزراعة. كما يشير الى ان معظم افريقيا الشمالية يقع تحت مستوى البحر المتوسط، وهذه البقاع لاتزيد على أرض صحراوية ويذكر المهندس أن تونس تحت مستوى سطح البحر وانها كانت بحراً . فى عصر الجليد باوربا ، وانه لايزال بهذا القسم كثير من البحيرات الصغيرة . وبحفر قناة ، فان المياه يمكن نقلها الى هذه المنطقة ، آتية من خليج يرتطة الى قرب قابس . وعلى هذا ينشأ بحر جديد . وتكون مزايا هذا البحر مضاعفة ، لأنه فضلا عما يمكن ان تولده من القوة الكهربائية العظيمة ، فان هذه البحيرة الجديدة سوف تجعل كل افريقيا الشمالية ارضا خصبة . كما يمكن استخدامها فى مشاريع رى الصحراء زد على ذلك ، ان الرطوبة من الجو التى تحيط بهذه البحيرة الصناعية ، سوف تؤثر فى زيادة الامطار وتلطيف الهواء .

وهذا الفلم يستعرض فكرة اغلاق فم النيل وتحويله غربا نحو الصحراء ، لرى صحارى افريقيا الشمالية عن طريق القنوات أو بمد الانابيب ، فضلا عما يمكن اكتسابه من التيار الكهربائى

وينتقل بنا الفلم الى مدينة البندقية، المعروفة بشوارعها المائية، ويرينا كيف تتغير فى شوارعها وسائل النقل فتصبح ارضية، بعد ان كانت زوارق. ويصور الفلم ايضا المدن الجديدة التى تنشأ فى قعر البحر .

ويرى اتصال الحذاء الايطالى بشمال افريقيا عن طريق السدود . ويظهر السكة الحديدية التى تعبر سد جبل طارق ، فتربط اوربا بافريقيا

ومن محاسن هذا الفلم التعليمى ، انه يعرض تبعا لسياق حوادثه ، اوجه النظر المعارضة للمشروع حيث يقوم احد علماء طبقات الارض بتنفيذ المشروع ، فيذكر ان الارض الناتجة من البحر لن تكون الا طبقة كثيفة من الملح . وان قلة ضغط المياه او انخفاض مستواها ، سوف يعيد بركان فيزوف وغيره من البراكين الى الحياة كما انه سيجعل هذه الارض عرضة للزلازل الشديدة .

وهكذا يستمر الفلم فى دراسة الفكرة باسلوب علمى ، الى ان تنتهى حوادثه بقيام حرب بين الامم

الاوربية ، فيهدم سد جبل طارق وتتدفق المياه من المحيط ، وبذا تغرق كل المجهودات البشرية .

حسن محمد البكرى

مكافحة الحر

يمكن الانسان ان يتحمل الحر اذا كان الهواء جافا . لأن مسام الجلد تفرز من العرق مايتبخر بسرعة للجفاف المحيط فيفقد الجسم مقداراً من الحرارة يجعله يبرد ولكن اذا كان الجو رطبا فان التبخر ينقطع فلا يبرد الجسم . ولذلك نستطيع ان نتحمل درجة ٤٠ فى الجفاف ولكننا نرهق بدرجة ٣٥ فى الرطوبة . وافضل مانقاوم به الحر ان نقلل من الطعام . فان الطعام وقود او معظمه كذلك وكثير من الذين تجهدهم اعمالهم يجدون الراحة فى الاقلال من الطعام طول النهار ثم اشباع الجسم بعد الغروب . ومن الحسن ان تجتنب المثلجات وخاصة اذا كانت تحتوى سكراً او لبناً او فواكه لأنها مغذية تزيد حرارة الجسم . ويجب الا ننسى ان الحر او شعور الارهاق منه قد يكون نفسيا . فان الحديث المسئم او المغضب قد يجعلنا نشعر بارهاق الحر اكثر مما تستدعى حقيقته . وكذلك يفعل الجدال . وللهموم اثرها السيء فى الشعور بالحر . ولذلك يجب ان نحتفظ بسكينتنا بعيدين عن الضوضاء وعن كل مايرهق الاعصاب . وللمراوح الكهربائية اعظم الفائدة وخاصة اذا كان الجو رطبا يمنع تبخر العرق

الحلاقة الناشفة

شاع فى الولايات المتحدة وبعض الاقطار الاوربية استعمال ماكينات جديدة للحلاقة هى مقص او مقصات دقيقة تدور بالقوة الكهربائية وتحلق اللحية بلا حاجة الى عناء الغسل والترطيب برغوة الصابون . وكل مايحتاج اليه الانسان ان يصل الماكينة بالتيار الكهربائى ثم يسلطها على عارضيه وسائر ماينبت عليه من الشعر فلا تترك شيئا

خطر التدخين

لم يعد هناك شك فى ضرر التدخين . وقد كثرت مقالات العلماء عن هذا الضرر فاثبت

دايتون يرل من احصاءات شركات التأمين وهى تعد بمئات الالوف ان لم نقل بالملايين ان جميع المدخنين سواء منهم المعتدلون والمدمنون يموتون وهم دون العمر الذى يبلغه الممتنعون عن التدخين. وقد ثبت بالتجربة ان ستين مليجرام من النيكوتين تكفى لقتل الحيوان الذى يبلغ وزن الانسان اذا اعطى له هذا المقدار فى الطعام . وفى كل سجارة مقدار من النيكوتين يتراوح بين ٢ و٣ من المليجرامات . ولكنه لايصل الى رئة المدخن لان كثيرا منه يستهلك بالاحتراق قبل ان يصل الى الرئة . وقد ثبت ايضا ان التدخين يزيد الضغط فى الدم ويعرض الانسان للموت بالنقطة او السكته لهذا السبب

وقد ذكرت الجرائد الانجليزية ان الطالبات فى الجامعات الانجليزية كن قد اعتدن التدخين وافرطن فى ممارسة هذه العادة . ولكنهن هذه الايام يقلعن عنها . ويفعل كذلك كثير من الطلبة الذكور

هولندا والتطعيم

الغت الحكومة الهولندية التطعيم الجدرى وجعلته اختياريا لمن شاء من الاباء . وذلك بعد ان ثبت انه لايجدى فى توقى الجدرى . ولم تزد اصابات الجدرى فى السنوات العشر الماضية اى منذ الالغاء على ماكانت عليه قبل هذه المدة

الثلج الناشف

ثانى اوكسيد الكربون هو الغاز الذى يخرج من الكوب عندما تصب فيه المياه الغازيه التى نشربها وقت الحر . وقد وجد انه يمكن تبريد هذا الغاز حتى يجمد ويعود كالحجر . وهو يباع الآن لكى يستعمله رب البيت فى صنع الدوندرمة او غيرها من المثلجات . وكل ما نحتاج اليه ان تضع قطعة منه فى المواد التى يراد تبريدها . وقد أغنى وجود هذا « الثلج الناشف » عن الاجهزة التى كانت تستعمل للتبريد . وهو خلو من الرائحة او التلويث اذ يمكن الانسان ان يتناوله دون ان يخشى تلوثا منه . وهو بالطبع يتبخر من المواد التى يراد تبريدها به

الجنون والطلاق

اثبتت الاحصاءات فى المارستانات الامريكية (بالولايات المتحدة) ان حدوث الجنون بين المطلقين يزيد اربعة اضعاف على حدوثه بين المتزوجين . والمغزى من هذه الارقام غير واضح . اذ يمكن ان نستنتج ان صدمة الطلاق لاحد الزوجين وماتحمله من هموم قد تؤدى الى جنونه . كما يمكن ان نستنتج ان التزعزع النفسى أصيل فى الشخص المطلق وان الطلاق كما ان الجنون بعد ذلك كان نتيجة لهذا التزعزع . وهذا يشبه الاستنتاج عن أدمان المسكرات الذى يؤدى الى الجنون . فقد يقال ايضا ان الاعصاب مزعزعة من الاصل . وان هذا التزعزع قد جعل الشخص عرضة للأدمان . ثم بعد ذلك عرضة للجنون

الطب وعلم الاجتماع

القى الدكتور هاجرد خطبة عن علاقة الطب بالاجتماع . فقال انه البراعة المدرسية لطالب الطب وكذلك المهارة فى المعمل ليست كبيرة القيمة الى جنب العقلية الاجتماعية التى يجب ان يكون عليها الطبيب . لأن الطب قسم من الاجتماع . والصحة والمرض هما ميراث اجتماعى يتصل اكبر الاتصال باحوال الامة الاقتصادية والعائلية والحكومية

وصحة هذا الكلام واضحة . بل هى اوضح فى مصر مما هى فى اى قطر آخر . لأن الفائدة من معالجة الرمد او البلهارسيا او الانكلستوما او البلاجرا او الحميات ضئيلة جدا مادامت الفاقة متسلطة على السكان وهى تحمل اليهم الجوع والحرمان من الحاجات الضرورية للصحة

قيمة الشمس

ذكر الدكتور اوتو كستنز وهو الثقة الالمانى عن تأثير الضوء فى الصحة انه وضع تحت رقابته عدداً كبيراً من اطفال الازقة المحرومين فى المدن وقامهم الى المصايف على شواطىء البحر فوجد انهم يزدادون فى الوزن زيادة كبيرة اذا مكثوا شهرين عند البحر . وان قطر الذراع والساق

يزداد فى حين ان قطر الخصر ينقص . وهذا يدل على ان تضخم البطن فى الاطفال عرض مرضى يزول بعودة الصحة . وقال ايضا انه عندما كان يضع الثلج على وجوههم الشاحبة عقب وصولهم الى المصيف من المدن كانت بشرتهم تستجيب ببطء عظيم . فلا تحمر بشرتهم الا بعد مدة طويلة . ولكن بعد شهرين من الاقامة على الشواطىء والتعرض للشمس كان الثلج يحدث احمراراً سريعاً على وجوههم عندما يوضع عليها

اختلاف المعادن فى الخضراوات

المألوف فى كتب الكيمياء والطب ان يقال ان البطاطس يحتوى كذا مثلا من الكلس . وان القمح كذا من الفصفور . وان السبانخ كذا من الحديد . وتحفظ الارقام كأنها عامة فى جميع القمح او السبانخ او البطاطس

ولكن اتضح اخيرا ان الاعتماد على هذه الارقام خطأ . فان عينة من السبانخ قد تحوى من الحديد عشرة اضعاف ماتحويه عينة اخرى منه . وفى بعض الاحيان لايحتوى القمح الاعلى مقدار ضئيل جدا من الفوصفور . وهلم جرا. ويعلل هذه الاختلاف بالتربة التى ينبت فيها النبات . فهناك تربة حافلة ببعض المعادن واخرى فقيرة ولذلك يجب أن تعرف الارض التى تزرع فيها الخضراوات والاطعمة عامة وان تزود بالمعادن التى يحتاج اليها الجسم الانسانى . بل من هنا اصبحت الفائدة كبيرة من زراعة الماء (الهيدرويونية) لأن الزارع يضع فى الماء جميع العناصر التى يريد ان يمثلها النبات

ورد الحمير

نبهنا احد اصدقائنا الى اقبال اصحاب الحدائق فى العاصمة وغيرها على غرس الشجرة المعروفة باسم « ورد الحمير » وطلب الينا ان نلفت النظر الى الخطر العظيم الذى قد ينشأ منها . وهذه الشجرة تدعى فى اليونانية « نيريوم اوليأندر » وهى ترتفع الى نحو اربعة امتار واوراقها مستطيلة وتستدق فى النهاية ونسيجها جاف ولها ورد احمر زاه هو الذى يغرى اصحاب الحدائق بغرسها للزينة . وليس لهذا الورد عطر حسن

وهذه الشجرة — ورقا وخشباً وزهراً — سامة واكثرها سما هو الزهر . فيجب الاحتراس منها ويحسن الامتناع عن غرسها

أخبار اجتماعية

لباس الرأس فى سوريه

كتب المسيو بتيه تربس مقالا عن هذا الموضوع جاء فيه

اذا عدنا بذاكرتنا الى أوائل القرن التاسع عشر نجد أن غطاء الرأس كان فى سورية

١ — علامة للدين : فعمامة المسلمين كانت خضراء أو بيضاء ، وعمامة المسيحيين زرقاء وعمامة اليهود سوداء .

٢ — علامة لمنشأ الافراد وعنصرهم ومكان اقامتهم فكان لكل من الاتراك واليونان والاكراد والعجم والتركمان والبدو غطاء خاص للرأس

٣ — علامة لمكانة الافراد الاجتماعية وعسكرية كانت أو ادارية أو دينية أو اقتصادية . فعلو الدرجة كان مرموزاً اليه بطول غطاء الرأس أو ازدياد حجم العمامة . كذلك لباس رأس الغنى يخالف لباس رأس الفقير ، ونمط لف العمامة يختلف بحسب الطبقة الاجتماعية.

وفى أوائل القرن التاسع عشر أخذ غطاء الرأس يتبدل عندما بدأت حركة محمد على فانتقلت حالة لباس الرأس من التعقيد الى البساطة وأصبح عبارة عن الطربوش الاحمر الذى كان يلبسه اليونانيون وقد سلك السلطان محمود الثانى بعد انخذال الانكشارية (١٥ حزيران سنة ١٨٢٨) الطريق التى سلكها محمد على . وحوالى سنة ١٨٢٩ — ١٨٩١ تعمم الطربوش فى سورية وبهذه المناسبة ذكرت سجلات القنصلية الفرنسية فى بيروت بتاريخ نيسان سنة ١٨٣٠ ما يلى : « تلقى حاكم بيروت أمراً بأن يترك العمامة الكبيرة ويجعل لباس الرأس لكافة الموظفين طربوشا أحمر بسيطا ، وقد احتج موظفو الامبراطورية بشدة على السلطان محمود الثانى لاتخاذه غطاء اليونانيين المسيحيين شعارا لهم ؛ وحدثت مهزلة من جراء هذا التغيير لأن اللباس الجديد كان يستجلب الهزء والسخرية فضلا عن أن

الشيء الاجنبي كان في ذلك الزمان مكروها . غير أن اصلاحات محمود الثاني لم تمنع حصول الاختلافات حول لباس الرأس فقد تنازع فريق من المسيحيين الارثوذكس مع فريق آخر من المسيحيين الكاثوليك في شأن لباس الرأس الخاص بالرهبان ، كما أن رؤساء الدين المسلمين لم يرق لهم في عام ١٨٤١ أن يلبس المسيحيون في دمشق عمامة بيضاء مثلهم ، وقد كاد يتوقف سير التطور الذي أجراه محمود الثاني في عهد السلطان عبد المجيد اذ أن شيخ الاسلام طلب أن يلبس السلطان يوم التتويج لباس الرأس القديم غير أن الصدر الاعظم حين ذاك لم يسمح بتطبيق هذه الفكرة الا على رجال الدين وحدهم فظفر بعد مقاومة طويلة وبقي الطربوش لباس الرأس الرسمي المنتشر في سورية

أما القبعة الافرنجية فكانت تلاقي منذ انتشارها مقاومة شديدة . وكان لابسها معرضا للاستهزاء والاحتقار وتدلنا على ذلك الاقوال العامية الرائجة اذ ذاك أمثال (أبو برنيطه — أبو طنجرة وغيرها) والسبب في ذلك أن السوريين تعودوا لبس الطربوش الذي أصبح شعارا وطنيا ولكن المقاومة التي لقيتها القبعة في الساحل لم تكن شيئا يذكر بل زاد الاقبال عليها شيئا فشيئا ، لا سيما عند المسيحيين والاسرائيليين فقد ترك كل منهم العمامة التي كانت رمزا دينيا ، وسرت هذه الحركة بين المسلمين ببطء وقل أصحاب العمامات بتأثير الاصلاحات التركية .

وفي بدء الانتداب أجريت محاولة لنشر العمامة بين المسلمين عامة الا أنها لم تنجح وهذا كان أيضا نصيب المحاولة التي قام بها طلاب المدارس الثانوية والابتدائية سنة ١٩٣١ لتعميم « الكفية والعقال » وفي عام ١٩٣٤ بدأ الآباء يلبسون أولادهم الصغار نوعا من اللباس الرأسي يدعى (به ره باسك) ولكن هذه الحركة توقفت في عام ١٩٣٦ تحت تأثير بعض رجال الدين . وفي أيامنا هذه يزيد أنصار القبعة يوما بعد يوم لا سيما في المدن الكبيرة كدمشق وحلب وحمص وفي لبنان جميعه . ومنذ خمس سنوات حدثت تغيرات هامة في الدوائر الرسمية بدون معارضة ولا احتجاجات وانتشرت القبعة عند رجال الدرك والشرطة في الصيف وأهمل بتاتا القلبق بنوعيه وعم حديثا استعمال نوع من « الكاسك » عند رجال الشرطة والدرك وموزعي البريد في سوريه .

وكذلك في بدء الانتداب ومنذ بضع سنوات ظهرت حركة ضد الطربوش بقصد الاستغناء عنه واستبداله بلباس رأس وطني خاص بالسوريين ، على غرار العراقيين الذين درجوا على لبس السدارة

وقد ذكر أعداء الطربوش حججا لدعم حركتهم ، منها ان الطربوش ليس لباس العرب بل هو لباس دخيل مأخوذ عن اليونانيين ، وان الاتراك الذين عمموه فى امبراطوريتهم قد استغنوا عنه الآن ، وان الطربوش لا يوافق صحة الافراد لا فى الصيف ولا فى الشتاء وانه ليس من مصنوعات البلاد ولكن هذه الحركة المناوئة للطربوش لم تنجح والفكرة الرائجة الآن بين أنصارها وفى طبقات الشباب المثقف والاوساط المتنعمة هى نزع غطاء الرأس من أى نوع كان والاستغناء عنه ولا سيما فى فصل الصيف على شاكلة بعض شباب الغرب. وأننا لا نعلم اذا كان هذا هو الحل الاخير لمعضلة لباس الرأس ولا ندرى ما سيفعل هؤلاء الشباب عندما يصبحون كهولا رازنين وما سيكون مصير لباس الرأس عندهم فى المستقبل .

تقدم المرأة

لم يمر على البشر عصر سمت فيه المرأة الى مركزها الحاضر حيث تحترف مئات من الصناعات الجليلة أو الدقيقة التى كانت تعد وقفا على الرجال . ولذلك كثر فى عصرنا أسماء الزعيمات فى العلوم والسياسة والاختراع والاقتحام . فان مدام كورى قد اكتشفت الراديوم . ومدام شيانج كاى شيك تتزعم الحركة الوطنية فى الصين وتهدم معاقل الرجعية . وقد حاربت الكونتسه ماركيفيكز فى جيش الارلنديين ضد الانجليزية سنة ١٩١٦ وتزعمت الحركة الوطنية فى ارلندا . وقد طارت امى موليسون من استراليا الى انجلترا وضربت الرقم فى هذا الطيران

ولكن هناك صناعات ليس لها لألأة هذه الاعمال وان دلت على ما يمكن أن نسميه . لعجزنا عن تعبير آخر — روح الرجولة . فى انجلترا آنسة مهندسة تدعى كارولين هاسليت ترأس تحرير مجلة « المرأة المهندسة » وهناك الليدى روندا التى ترأس نحو عشرين شركة تجارية كبيرة . وفى فرنسا عشرات من الاوانس والسيدات يدرن متاجر كبيرة يعد عمالها بالعشرات والمئات . وفى الولايات المتحدة نحو ١٢ مليون سيدة وآنسة تكسب عيشها بكدها .

قيمة التوابل

أول ما عرفت التوابل لتحنيط الموتى عند المصريين ثم استعملت لتحنيط الطعام . وقد كان

لها شأن أ كبر فى الأزمنة القديمة لأن قلة التنوع فى الاطعمة كان يجعلها ضرورية لكى يساغ الطعام لذلك لا تستغرب أن يكون انقطاع التوابل عن أوربا قبيل الحروب الصليبية سببا اضافياً لهذه الحروب أو أن يكون سببا أصلياً لا كتشاف كولمبوس للقارة الأمريكية ولا كتشاف فاسكودى جاما طريقا الى الهند حول أفريقيا . وقد كانت التوابل تستعمل أيضا أدوية شافية لكثير من الامراض ولا عبرة بفائدتها الحقيقية فى ذلك لأن العبرة باعتقاد الناس او المرضى منهم . ومما يدلنا على قيمة التوابل أن الأريك حين حاصر روميه لم يفك الحصار الا بعد أن حصل من السكان على ثلاثة آلاف رطل من الفلفل . وان الحكومة الانجليزية كانت تفرض مكسا قدره ٢٥ قرشا على كل رطل من الفلفل الوارد اليهـــا من الشرق فى القرن الخامس عشر

حافظ عفيفى باشا والازهر

تحدث الصحفى الانجليزى روم لاندو مع حافظ عفيفى باشا وسأل رأيه عن الجامعة الازهرية فقال له أنه مع اعجابه بشيخ الازهر ليس كبير الايمان بميول الازهر العصرية فقد ترك الطلبة الجلوس على الحصير واستبدلوا بذلك الجلوس على الكراسي وبعد أن كانوا يضعون الكتب فى حجـورهم بدأوا يضعونها على المنضدة . نعم ان معلمى الازهر أصبحوا يتناولون الآن مرتبات ضخمة لا تقاس اليها مرتباتهم قبل عشرة أعوام . ولكن هنا وتقف الميول العصرية فهذه التغييرات التافهـة لم تؤثر أثراً ما فى أساليب الازهر ولا فى الروح القائمة خلف التعليم . فلا يزال الازهر الى هـذه الأيام مشغـولا بالقشور الدينية وبالنظريات التى يحوطها كثير من الجدل . ويضيع الشبان سنوات ثمينة كانوا يستطيعون أن يفيدوا ويستفيدوا بها لو أنفقوها فى مطالعة دروس مهمة أخرى . ومهما كان نقص نظام التربيـة العثمانية فانه سائر تدريجيا فى اتجاه ادراك حقائق العصر ادراكا علميا ولكن لا يزال التعليم فى الازهر كما كان فى القرون الوسطى من ناحيته النظرية والعملية ، ولا يزال بين تقاليـد الازهر الا يتولى مهمة التعليم فيه الا خريجو الازهر وما دامت هذه الفكرة قائمة فان التعلـيم فيه سوف يظـل متأخراً . ولا أمل فى نهضة روحية حقيقية مستمدة من الدين ما دام أساتذة الدين لا يسيرون فى دراستهم على نفس الطريقة المنيرة التى يسير عليها أساتذة المدارس العاديين .

وهنا سأله الصحفي لماذا يرى ان مثل هذه النهضة لازمة فأجابه لان قلب فلسفة الحياة في مصر لا بد أن يرتكن إلى أساس روحي . وهذا لا يتأتى الا من الدين الاسلامي الذي ينبغي تطهيره مما علق به من الخرافات والاوهام

ثم بين حافظ عفيفي باشا انه يقصد بهذا أن يكون مستوى التربية الدينية كمستوى الثقافة العامة. لان قوة الاسلام الدافعة في عصوره الذهبية انما نشأت عن كونه دينا بسيطا خاليا من النظريات المعقدة ولقد طلع الاسلام على العالم بثقافة عالية جدا وحول في أقصر وقت قبائل كانت على الفطرة الى أمم متمدينة . فنهضة الاسلام في المستقبل خليقة بأن ترشد اتباعه مرة أخرى الى الثقافة الحقيقية ولكن لا سبيل الى تحقيق هذا ما لم يتخلص الاسلام من النظريات البالية وسخافات القرون الوسطى التي لا تربطها اية رابطة بجوهره الحقيق . هنالك وهنالك فقط يصبح الدين الاسلامي تلك القوة الروحية التي تفتقر اليها البلاد أشد افتقار .

فسأله الصحفي عما يعتبره مشكلة المستقبل في الحياة المصرية ، فقال :

إن المسألة الرئيسة هي بلا ريب التعليم ، فلا ينبغي أن يكتفي علماء مصر الدينيون والعلمانيون بتحصيل العلوم فقط بل عليهم أن يدرسوا الى جانب ذلك الفضائل المدنية . ففضيلة الشجاعة والصدق والاحسان وحب الفنون والعلوم وطهارة الجسم والعقل — كل هذه الفضائل التي كانت قوة الاسلام الدافعة ينبغي أن تعود الى الاسلام وإلى شعب مصر . ومن ثم يدرك الشباب المصري ، وهو المتعلم تعلما سطحيا ، ان أمة من الامم لا يمكن أن تعتبر نفسها متمدينة ما دامت غالبية الاهالي تعيش في حالة الضنك التي يعيشها الفلاحون . كل هذا لا سبيل الى تحقيقه الا بعد فترة طويلة تنقضي في التعليم العقلي والاخلاقي .

رأى في التعليم

اقترح أحد الامريكيين في احدى المجلات اتخاذ طريقة عملية للتعليم قال : لو كان لي ولد لكنت أسلك في تعليمه الطريقة الآتية : --

١ — أخرجه من المدرسة في سن الرابعة عشر تماما والحقه بمحل تجاري لمدة سنتين لاجعل منه

مواطنا حرا وابعث فيه روح النشاط واليقظة واعلمه كيف يتعامل مع الرجال كرجل ويتعود كتابة الرسائل الخاصة بالاعمال بصراحة وأمانة ويتولى بنفسه تدبير شؤونه المالية ويتولد فيه الاهتمام بسير النهضات الصناعية الكبرى فى العالم

٢ — بعد انتهاء السنتين ارسله لمدة سنتين اخريين الى جهة بعيدة عن العمران من الجهات المتوحشة التى يكون أهلها فى حالة البداوة وقد سنوا لانفسهم ما يتناسب مع حالتهم من القوانين الخاصة بحياتهم الاجتماعية

٣ — بعد هذا يجب أن يقضى سنتين فى أمهات مدن أوربا لازالة ما يكون قد علق به من غلاظة الطبع والتعصب للقومية والرأى . وهذا يقربه من استجلاء مظاهر التمدن الغربى — كل هذا مما يدعو الى شحذ ذهنه ويزيده اهتماما بأمور الحياة وتوسعا فى معلوماته

٤ — على أثر ذلك الحقه بالجامعة فيدخلها لا كطفل بل كرجل يمكنه ان يتمتع بمزاياها الحقيقية فيستفيد من المحاضرات التى تلقى فيها وتتربى فيه الأخلاق الصحيحة ويكتسب من الجامعة الروح الحقيقى المقصود منها

فما رأى رجال التعليم عندنا فى هذا الاقتراح ؟

عطا الله اثناسيوس

الاقليات فى رومانيا

سنت رومانيا قانوناً جديدا لحماية الاقليات ورعاية حقوقها . وهو ينص على أن لكل رومانى الحق بلا نظر الى لغته أو ديانته أو سلالته فى أن يفتتح المدارس التى يشاء لتعليم ما يشاء باللغة التى يريد وله مع ذلك الحق فى مطالبة الحكومة بالاعانة التى تعطى للمدارس الرومانية . والمدارس حرة فى تعليم الاديان التى تختار . وللابوين الحق فى تعيين القومية التى سينتمى اليها ابنهما . وفى رومانيا مليون يهودى ومليون هنغارى و ٦٠٠ر٠٠٠ ألمانى . وسكان رومانيا جميعا يبلغون ١٩ مليونا

السياسة كما يفهمها الانجليز

أعظم ما يهتم له الانجليز فى بلادهم هو مكافحة الفقر . وقد نجحوا فى ذلك نجاحا عظيما . فكل

من يبلغ الخامسة والستين من العمر يأخذ معاشا من الحكومة الى أن يموت . وكل من يتعطل عن العمل يأخذ أجر عطله الى أن يجد عملا . وكل من يمرض يعالج بالمجان الى أن يشفى

وقبل خمس سنوات أعلنت وزارة الصحة عن برنامج يراد به هدم جميع المنازل المتهدمة أو السيئة وبناء غيرها فيما اسمته « برنامج السنوات الخمس » وقد أذاعت هذه الوزارة فى الشهر الماضى ما تم من هذا البرنامج فاذا به يزيد على ما كانت قد قدرته . فان ٨٠٠ الف ساكن نقلوا من مساكنهم السيئة الى مساكن جيدة حسنة . وبنى ٢٦٢٨٠٦ من المنازل الجديدة التى وافقت عليها الوزارة

وهذه هى السياسة كما يفهمها المحدثون فى الغرب

التوفيق فى الزواج

الرجل الموفق فى زواجه هو فى العادة ذلك الرجل الموفق فى حياته عامة . لان الاخلاق التى تؤهله للتوفيق فى الحياة هى نفسها تلك التى تؤهله للتوفيق فى الزواج . فالزواج قبل كل شىء صداقة بين الزوجين فيجب أن يتألف من تلك الصفات التى تجعل الصداقة متينة مرعية بين الاصدقاء أى من المجاملة والامانة والشرف والعفة والنظافة . وقد يترك الانسان صديقه للاخلال باحدى هذه الصفات وهكذا الشأن فى الزواج فقد يترك أحد الزوجين الاخر لهذا الاخلال نفسه

وكذلك يجب ألا ننسى أن الارتباك فى المعيشة الزوجية يدل على ارتباك فى الحياة عامة . لأن صفات السلوك التى تعمل للنجاح فى الصناعة أو الحرفة هى نفسها التى تعمل للنجاح فى الزواج . وان كان الشعور هنا بهذه الصفات أحد وأعمق منها فى الحياة الاجتماعية العامة . فالزوجة تحس بالعادات السيئة من الزوج أكثر مما يحسها الصديق أو أحد الذين يعاملونه . ولكن البيت هو قبل كل شىء هيئة اجتماعية مصغرة يحتاج إلى الأخلاق الفاضلة كما يحتاج اليها أفراد هذه الهيئة فيما بينهم

حديث الأدب والأدباء

سعد فى بوتقة الايهام

من مقال للاستاذ عباس محمود العقاد فى الدستور

تجتاز شهرة العظماء — ولاسيما السياسيين — اصعب امتحاناتها فى السنوات العشر التى تأتى بعد مفارقتهم هذا العالم

لان الشهرة كثيرا ماتكون مصطنعة مموهة فلا تلبث ان تنقطع عنها اسباب الاصطناع والتموية حتى تضمر اركانها وتنفصل اوانيها ، وترجع الى حقيقتها فلا تملأ الاسماع والابصار ولا تروع

وكثيرا ماتكون الشهرة حقيقة صادقة لا اصطناع فيها ولكنها قائمة على اسباب موقوته صغيرة ينفخ فيها وجود صاحبها فى قيد الحياة ثم ينتهى وقتها بانتهائه فيتشابه الصدق فيها والاصطناع

وكثيراً ماتجمع الشهرة بين الصدق واتساع المدى ولكنها تتعرض لما يسمونه برد الفعل وعاقبة الغلو والافراط ، فيصدف الناس عنها لانهم قد استنفدوا طاقتهم من الاعجاب بها والخوض فى احاديثها ، حتى لا متنوع ولا مزيد

وقد مضت هذه السنوات الصعاب على شهرة سعد وانقضت اليوم احدى عشرة سنة كاملة على يوم فراقه لهذا العالم ، وخيل الى اناس غير قليلين فى بعض هذه الاحايين ان البحر يجزر بعد مده وان التمام قد انتهى إلى حده ، وان هذا الضريح الذى كانوا يمرون به خاليا من صاحبه سيظل كذلك خاليا منه الى زمن طويل . او على طول الزمان .

ولا اكذب الضمير لقد كنت امر بالضريح مرتين كل يوم فيساورنى من تلك الخواطر مالابد ان

يساور النفس على عتبة ضريح يمثل لها عتبة الغيب وماوراءهـا من مجهول ومحذور .. ومن ذا الذى يقرأ صفحات من التاريخ ويتأمل صفحات من الحاضر الذى هو فيه ثم لايقول وان عز عليه ان يقول «يجوز!» بعد كل فرض واحتمال

لقد حاولت عبر الايام ان تنزع منى «يجوز» هذه فى بعض تلك المرات التى اعبر بها الضريح فما استطاعت ، وكنت أنفر منها كما ينفر المؤمن من وسواس الشيطان وهو يجنح قلبه ويوشك ان يقع فى يديه ، واجيبها بالبيت الذى نظمته فى هذا المعنى وقلت فيه .

امر به فى كل يوم وربما   مررت به يوما وفى القبر ربه

ولعلى نظمته لاستطيع ان اجيب بلسان الشعر حين لا أستطيع ان اجيب بيقين العيان .

« * »

والآن ماذا صنعت بوتقة الزمن بشهرة سعد ونحن فى عامها الحادى عشر ؟

صنعت مانوجزه صادقين إذ نقول أنه لم يصنع قط لمصرى فى تاريخ مصر المعروف

اقامت له تمثالين فى العاصمتين ، احدهما يشرف على البحر والآخر يشرف على النيل ، فهو فى مكان الاستقبال من تخوم بلاده ، وهو ايضاً على مقربة من قلبها النابض وينبوعها الفائض بالخير والحياة ويتوج هذا الشرف الباذخ ان يكون رافع الستار عن التمثالين ملاذ البلاد الاعلى وصاحب عرشها المحبوب

ومررنا بالضريح وفيه ربه ، وبالمدن المصرية الكبرى وفى كل مدينة منها طريق اوميدان اومثابة باسم سعد زغلول .

واصبحنا نتيمن ونتفاخر باسم سعد فنسمى به لاعزاء من البنين والبنات ، ونستزيد ذكراه حتى كأنها مدد ليس له نفاد

« * »

هذا ماصنعته بوتقة الزمن فى تخليد ذكراه .

اما ما صنعته فى تخليد عمله فقد كان عمله أن يقيم فى البلاد حكم الشورى وان يؤسس فيها دعامة الاستقلال ، فجاء العام الحادى عشر بعد وفاته وهو ناجح فى مطلبيه الكبيرين احسن ما يتأتى النجاح فعلى شواطىء البحر الابيض المتوسط لاتوجد اليوم الا امتان اثنتان لهما دستور قائم وحكومة

نيابية : احداهما مصر والاخرى فرنسا . وليس بالشرف القليل ان تقترن ثورة سعد بثورة الامة التى علمت الأمم حقوقها ، واعلنت حقوق الانسان للناس

واستقلالنا اليوم استقلال معترف به فى انحاء العالم كله، فان قلنا انه غير كامل فهو فى سبيل الكمال وهو خير من الاستعباد ومن الحماية ومن الغاية التى كان يطمح اليها اكبر المعارضين لسعد يوم تصدى للجهاد ونهض بامانة بلاده

ثم يشاء الله الا يتم الاتفاق الذى طال فيه الخلاف والشقاق إلا تحت الراية التى رفعها سعد فى بداية ذلك الجهاد . فكل من برزوا فى الجبهة الوطنية كانوا من رجاله الذين عملوا معه او عملوا باسمه وتحت لوائه ، وكل ما كان من تباين فى امره وتشعب فى الصداقة والخصومة حوله قد ثاب الى الوحدة الاولى ، وارتفع الى سند مرفوع من اسم سعد زغلول ، كما ترتفع السلالة المتفرقة الى عنصرها الاصيل

الاديب والفول المدمس

من مقال فى المصرى للاستاذ عباس حافظ

وفى معاشر الكتاب قلة معدودة كان أفرادها يظنون انهم سيروحون فى المعمرين ، ولكن فتكات الموت تخرمتهم وهم فى أقوى أدوار حياتهم ، فقد مات المنفلوطى رحمة الله عليه ، ولم يبلغ سنا متراخية ، فخسرنا بموته قلما طريا ناعما بالغ السحر ، نفاثا فى الارواح ، وكان المنفلوطى معنيا بأمر نفسه ، متخيرا لمعاشه ، لا يخطر ببال أحد انه سيذهب من هذه الدنيا وشيكا كما ذهب

وقد مات « السباعى » غفر الله له ، وهو يهد الجدار ، من عجبه بقوته ، ويسخر من المرض وقد ألح عليه ، ويهزأ بنصائح النصاح ، وأوامر الاطباء مات السباعى المزاح اللطيف الفيلسوف ، بعد الاربعين ، وكان قد أصيب قبل مرتحله من هذه الدنيا « بضغط الدم » حتى كان يرتفع عنده أحيانا الى مافوق الثلثمائة ! وكان الاطباء يمنعونه الاكثار من الطعام فيمتنع أياما ثم يعاوده غير حافل ، ويتزيد فيه مستهترا غير مكترث ، وكان يحب « الفول المدمس » والطبيب يمنعه منه ، ولكنه لا يقدر على امتناع فكانت زوجه الوفيه الطيبه العاقلة الأريبة المحدة عليه الى اليوم تبكيه بساخن الدمع وتذكره بأحسن مايذكر الاحباء الاعزاء من موتاهم ، كانت زوجه تحرص على ان تقدم اليه القليل منه ، وهى تخشى

عليه من قليله وكثيره. ففى ذات صبح وقد وضعت صحفة الفول بالزيت أمامه، وخرجت من الحجرة لبعض شأنها، لم يلبث ان أتى على الطبق، كله ولايزال فى لهفة على مزيد منه فحانت منه التفاتة حوله فرأى قليلا من الفول فى طبق آخر كانت السيدة قد أنقصته من صحفة مخافة عليه، فجرى اليه فوضعه فى طبقه وراح يبحث عن الزيت، فأبصر زجاجة صغيرة تحوى سائلا فصب منه على الفول وأكب على الطعام يلتهمه التهاما وهو يستغرب لطعمه وينكر مذاقه، ولكنه لايمتنع عن تناوله، واذا بالسيدة تدخل وقد شعرت بأن الفول الذى كانت مستبقيته قد توارى فى جوفه فصاحت به مبهوته ومن أين لك بالزيت جلبته؟ فأشار الى الزجاجة، فاشتد عجبها وصاحت به قائلة يا أبا العين الفارغة! ماهذا الذى فعلت.. ! هذه زجاجة زيت.. خروع!!

قال ضاحكا، وكأنه لم يفعل شيئا، يظهر كده! فقد نكرت طعمه، ولكن كله.. طيب! أهى شربه.. والسلام!!

وكان رحمة الله عليه اذا لم يجد «الفول المدمس» فى البيت، وقد شددوا عليه فى الحرمان منه، ذهب الى باب اللوق فدخل مطعم «أبى طربقة» فطلب «قرش فولا»، ورغيفا أورغيفين وزبدا كثيرا وبيضا يقلى عليه، فلا يلبث الخادم فى المطعم أن يضع بين يديه «طبقا» مفتخرا من الفول «المخدوم» بالزبد والبيض، فيأكله بشهوة حادة، فعل الاصحاء الاقوياء لاعلة بهم، وينطلق الى الديوان فلايزال يكرع من أكواب الماء المثلوج حتى ساعة الانصراف

وكان يتحرق على معرفة سر علته، ويقول لوددت والله أن أعرف ماضغط الدم هذا، لوانه كان يتمثل لى بشرا سويا لأخذت بمخانقه فما أنا بتاركه حتى أرديه صريعا،

ولكن ضغط الدم صرعه قبل أن يعرفه، أوصرعه فعرفه. وجعل فى مقترب منيته يتحامل فى فراشه لينهض فيمسك بأحد أعمدة سريره، وهو يكاد يلويه من قوته!

ليـلي التى فى الزمالك

من مقال للدكتور زكى مبارك فى الصباح

فقد كنت أومن بأنى أواسى بحبي فتاة لا تأنس بجمالها غوافل القلوب إلا كما تأنس العيون الرمد بضوء الشمس.

كنت أشعر أنى أخلق هذه الفتاة خلقا جديدا ، وكنت أرى من الوطنية أن أشيد بمحاسنها ومفاتنها لتجد مكانها فى عالم الصباحة والجمال

وقد وصلت من ذلك إلى ماأردت ، فهى اليوم أمل الآمل وأمنية المتمنى

أما أنا فقد كان مصيرى فى هواها مصير من يعبد النار ، وعابد النار يؤججها بيديه لتحرقه حين يداعبها وإن ترفق وتلطف !

وما أنكر أنى عرفت بفضل هذه الفتاة ما لم أكن أعرف

عرفت أن النبات الجميل قد يكون أمر من الصاب

عرفت أن البحر لا يروى الظمآن لأن ماءه ملح أجاج

عرفت أن الثقة بعهود المرأة تشبه الثقة بعهود الزمان

وعرفت ماهو أعظم من كل أولئك :

كنت بالرستمية ذات مساء مع أعضاء نادى القلم العراقى ومضينا نستروح بسكون الليل حول نهر ديالة فراعنا أن تنبح الكلاب بنزق وطيش

قال أحد الزملاء : ماأقبح نباح هؤلاء الكلاب !

فقلت : هذا النباح صورة من صور الجمال !

فقال : وكيف ؟

فقلت . لأنه يكمل صورة الليل

وكذلك تصنع المرأة الغادرة ، فهى تكمل صورة الوجود

آه من زمنى ومن دنياى !

ورجعت أسائل نفسى : ماذا غنمت من حب ليلى التى تقيم فى الزمالك ؟

لقد ظفرت بغنائم كثيرة سأنتفع بها فيما بقى من حياتى

والظاهر أنى لا أخلو من لؤم ، لأنى أحب اللئام من الملاح

وإنما كان الأمر كذلك لأنى قضيت أكثر من عشرين سنة فى الدراسات الفلسفية ، فالمرأة الرقيقة القلب لاتؤذينى إلا قليلا ، لأن عقلى أكبر من قلبى ، وأنا اشتهى المرأة اللئيمة التى يكون

غرامى بها فرصة لدراسة القلوب والنفوس والعقول .

أردت مرة أن أساهم فى نفقات البيت فقالت : أنت تريد أن تحتل بيتى

وتلك نظرة دقيقة قد يغفل عنها السياسون

وهجمت عليها ذات مرة فدفعتنى بعنف وهى تقول : إن مظهر القوة يذكر الضعفاء بالذلة ويغريهم بالعصيان

أشهد أن هذه اللئيمة على جانب عظيم من الذكاء ، واللؤم باب من الذكاء

أحبك يالئيمة حباً لئيماً ، ولا يفل الحديد إلا الحديد .

* * *

آه من زمنى ومن دنياى !

أنا اليوم فى خلاف مع ليلاى

هى تريد أن تنتصر فتنقلنى إلى الزمالك ، وأنا أريد أن أنتصر فأنقلها إلى مصر الجديدة وطن الملائكة والشياطين

إن آدم عليه السلام انتقل فى سبيل حواء من الجنة إلى الأرض ، فلأنتقل فى سبيل ليلى من مصر الجديدة إلى الزمالك

ويظن الناس أن آدم باء بالخسران حين انتقل من الجنة إلى الأرض فى سبيل حواء وهم والله جاهلون ، فلو بقى آدم فى الجنة لعاش أغلف القلب خامد الاحساس

ان نزول آدم إلى الأرض كان فرصة لمعرفة الشهوات والضغائن والأحقاد ، والعلم مع الشقاء أفضل من الجهل مع النعيم .

سأرجع اليك ياليلاى ، سأنتقل من مصر الجديدة الى الزمالك فى سبيل البحث عن سرائر الروح الانسانيـــة

وسترضين عنى ياشقية لأحترق فى كوثر الوصال

ولكن ماهو الوصال ؟

هو أن تنكشف الحجاب عن قلبك الغادر لأرى ما فى الوجود من حقائق وأباطيل

أحبك ياليلى

أحبك ياليـــلاى

أحب النار التى تصهر قلبى

وأستبيح الشرك ، وأحب معك الانسانة النقية التى امتحنى بخطابين كريمين ولم تظفر بجواب لانفارى من تلك الانسانة فبينى وبينها أهوال ، ولن ترانى إلا فى عالم الخيال

أيتها الانسانة التى تخاطبنى فلا أجيب

أنت كل شىء فى دنياى ، وان كرهت ليلى المريضة فى الزمالك

وسأوقد نيران الغيرة فى صدور من هنا ومن هناك ، الى ان يقضى الحب بما هو قاض ، وأنا راض بحكمه وإن كان أظلم الحاكمين .

اكتب هذا وقد طلع الصبح ، ولا تزال ظلمات الهجران تسيطر على قلبى

مصر الجديدة　　　　زكى مبارك

من حياة فولتير

من مقال للاستاذ احمد صادق موسى فى الدستور

والى جانب تلك الصفحة التعليمية القصيرة من حياة فولتير . كانت له صفحة تمتد الى النواحى النسائية ،فلقد جذبت افكاره الثائرة ونظراته الغريبة الى مجتمعه ، بعض السيدات اليه ، حتى احداهن تركت له ثروتها البالغة التى فرنك تقديراً له ولتساعده فى شراء الكتب التى يحبها ويسكن اليهـا ، وتعرف بعدذلك بفتاة بروتستانتية المذهب فأحبها رازعج هذا الاختلاف الدينى بينه وبين الفتاةاباه، فعمل على قطع الصلة بينهما ، ودفعه الى ان يشتغل بغير الادب ، وحمله على درس القانون ولكن فولتير لم يلبث طويلا على هذه الحال فمضى الى مكتب محام فى باريس ليعمل فيه ، ومال فى ذلك الوقت الى الشعر وقرضه .. واتصلت به دوقه مين لتستغل مواهبه الجديدةفى التهكم للحطمن قدر دوق اورليان ولكن الحظ خانه فقبض عليه وزج فى سجن الباستيل المظلم ولم يخرج منه إلا سنة ١٧١٨ وكان عمره اذاك اربعة وعشرين عاما